

رجل المستحيل

الحصار

د. نبيل فاروق

رجل المستحيل

(أدهم صبرى).. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١).. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - أوراق وذكريات ..

على الرغم من أن قرص الشمس قد بدأ رحلة المغيب بالفعل ، وراح يغوص فى بطء ودفء ونعومة ، خلف الأبنية العالية ، التى تطلّ عليها شقة (قدرى) خبير الوثائق والمستندات ، فى المخابرات العامة المصرية ، ومن أن الضوء راح يخفت ويخفت ، جاذبًا خلفه سحابة الظلام ، التى أخذت تنتشر لتغمر كل شىء ، إلا أن (قدرى) ظلّ صامتًا ساكنًا ، على ذلك المقعد الكبير ، فى شرفة منزله الواسعة ، وهو يحدّق فى الأفق فى شرود ، وبعينين يطلّ منهما حزن ومرارة الدنيا كلها .

كان الظلام ينتشر داخل منزله أيضًا ، إلا أنه لم يحرّك ساكنًا ، أو يحاول حتى إشعال شمعة صغيرة ، للحصول على بصيص من الضوء ، وكأنما استعذب الظلام ، الذى يتفق مع حالة الحزن والإحباط ، التى تُغلّف نفسه ، وتحيط بكيانه كله منذ حين ..

واختفى قرص الشمس ، أو ما تبقّى منه ، وتلاشت كل أضواء الشفق ، التى تركها خلفه ، وغلّف الصمت والظلام

شقة (قدرى) كلها ، وغرق هو معها فى مزيد من الحزن والمرارة ، حتى إن دموعه قد أطلقت لنفسها العنان ، وراحت تنهمر على وجهه غزيرة ، دون أن يقاومها ، أو يمسح دمعة واحدة منها ..

ثم فجأة ، ارتفع رنين جرس الباب ..

ومع الرنين المباغت ، انتفض جسده فى عنف ، وسرت ارتعاشة باردة كالثلج ، فى كل ذرة من كيانه ، وارتجَ جسده المكتظ كله ، وهو يهبّ من مقعده ، هاتفًا :

ـ من ؟!

لم يكد ينطقها ، حتى أدرك أن موقعه يجعل من المستحيل أن يبلغ صوته الطارق ، فتردَّد بضع لحظات ، وأصابعه ترتجف فى انفعال ، وعقله يحاول إقناعه بتجاهل الرنين ، والتظاهر بأنه غير موجود ، حتى يملّ الطارق وينصرف ..

ولكن الرنين انطلق مرة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

كان من الواضح أن الطارق لا ينوى الانصراف ، وأنه مصرّ على مقابلته ، مهما كانت الظروف ..

وفى عصبية ، غادر مقعده ، وحاول أن يشق طريقه فى الظلام ، إلى باب الشقة ، إلا أنه ارتطم بأحد المقاعد ، ثم بمنضدة صغيرة ، فزمجر فى غضب ، وتحسَّس طريقه إلى زر الإضاءة فى سخط ، وهو يهتف بالطارق ، الذى ما زال يواصل رنينه فى إصرار :

ـ مهلاً .. أنا فى طريقى .. امنحنى بضع لحظات فحسب .

بدا من الواضح أن الطارق قد سمع هتافه ، أو أنه قد انصرف ، فقد توقَّف الرنين دفعة واحدة ، وساد الصمت التام ..

ولم يدر (قدرى) لماذا خفق قلبه فى عنف ، مع ضغطه الزر ، وانطلاق الضوء فى المكان ، وكأنما كان يميل إلى الظلام ، بكل ما يحمله من رهبة وغموض ، مع حالة الحزن العميق ، التى تسيطر على كيانه كله ..

وفى غضب عصبى ، فتح باب شقته ، هاتفًا :

ـ لست أدرى لماذا تصرّ على زيارتى ، ولكننى ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فى الفتاة الواقفة عند الباب ، والتى قالت فى صوت خافت ، حمل رنة حزن دفين ، بدا وكأنه يفوق حزنه بألف ضعف :

ـ أهلاً يا (قدرى) ..

مضت لحظة فى صمت عجيب ، وهو يحدّق فى وجهها ، قبل أن يهتف فى ترحاب حار مباغت :

ـ (منى) .. أهلاً بك يا (منى) .. تفضّلى .. تفضّلى .

أفسح لها الطريق فى سرعة ، وهو يتطلّع فى فضول شديد إلى الملف الذى تحمله بيدها ، ويتساءل بفضول متوتر فى أعماقه ، عن سبب زيارتها له فى منزله ، فى حين دلفت هى إلى المكان فى بساطة ، وجلست على أوّل مقعد صادفها ، وهى تقول :

ـ شقتك أنيقة وبسيطة كشخصيتك يا (قدرى) ، ولكنها تحتاج إلى شىء من النظام والترتيب ، و ...

قاطعها فى شىء من التوتر ، وهو يجلس على مقعد مواجه لها :

ـ والنظافة .. نعم .. أعلم هذا ، ولكننى فى إجازة كما تعلمين ، وحالتى النفسية لم تسمح لى بـ ... أعنى أن ... أنت تفهمين .. أليس كذلك ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وغمغمت :

ـ بالتأكيد يا (قدرى) .. من أكثر منى فهمًا لما تعانيه .

لم يدر أن دموعه قد انسابت مرة أخرى من عينيه ، وهو يقول بصوت متهدّج ، وبلهجة أقرب إلى البكاء :

ـ الكل يقول فى الإدارة : إنها النهاية ، وإنه لن تقوم له قائمة مرة أخرى ، بعدما أصابه فى (موسكو) (*) .. وهذا .. وهذا ..

ثم انفجر باكيًا فى حرارة ، وهو يستطرد فى انفعال شديد :

ـ وهذا مستحيل ! لا يمكن أن تكون هذه نهاية تاريخه الحافل الطويل .. مستحيل ! مستحيل !

(*) راجع قصة (الأبطال) ، المغامرة رقم (١٣٤) ، من سلسلة رجل المستحيل ..

حاولت (منى) أن تتماسك أمامه ، حتى لا ينهار بدوره ، إلا أن دموعها هزمتها ، وتفجَّرت من عينيها لتغمر وجهها ، وهى تقول :

- لكل شىء نهاية يا (قدرى) .

هتف فى مرارة :

- حتى هو ؟!

عضت شفتها السفلى فى مرارة ، مجيبة :

- نعم .. حتى هو .

وارتجفت شفتاها بشدة ، وهى تضيف :

- إنه مجرَّد بشر .

بذلت جهدًا خارقًا ؛ لتستعيد رباطة جأشها ، قبل أن تمسح دموعها ، متابعة فى شىء من الحزم:

- الأخبار تقول : إنهم يستخدمون معه أسلوب علاج جديدًا ، فى المستشفى العسكرى الخاص فى (موسكو) تحت إشراف شقيقه الدكتور (أحمد صبرى) ، وفريق طبى مصرى خاص ، تم إرساله إلى هنا ، بأوامر من

السيِّد رئيس الجمهورية شخصيًا ، بعدما أكَّد الكل استحالة نقله هو للعلاج هنا فى (مصر) فى الوقت الحالى على الأقل ، وهناك أيضًا فريق من أفضل علماء ومعالجى (روسيا) .

هتف (قدرى) فى لهفة :

- أتعنين أنه هناك أمل ؟!

قالت فى حزم ، وهى تعضّ شفتيها ، فى محاولة لمنع دموعها من الانهمار مرة أخرى :

- هناك دومًا أمل ، فى الله (سبحانه وتعالى) ، ورحمته الواسعة .

وارتجفت شفتاها مرة أخرى ، وهى تضيف بنفس الحزم :

- ثم إن النتائج لا تهم .

هتف مستنكرًا ومذعورًا :

- لا تهم ؟!

أجابته فى سرعة :

- بالطبع لا تهم ، فمهما كانت النتائج ، سيظل (أدهم صبرى) حيًّا فى أعماق ووجدان الكل .. حيًّا ببطولاته ، وتضحياته المبهرة من أجل عقيدته ومبادئه ووطنه ..

ثم أدارت عينيها إلى عينى (قدرى) مباشرة ، وهى تكمل ، فى صوت حمل كل حزم وانفعال الدنيا ، على الرغم من الدموع التى سالت على وجهها :

- (أدهم) ليس مجرَّد رجل مخابرات يا (قدرى) .. إنه أسطورة .. هل تفهم .. أسطورة لن تموت أبدًا .

كلماتها أصابت قلبه مباشرة ، وجعلته يرتجف فى عنف بين ضلوعه ، ودفع قامته إلى الاعتدال ، وأزالت كل ذرة حزن فى ملامحه وصوته ، الذى اكتسى بالحماس والحزم ، وهو يقول فى قوة وإخلاص :

- صدقت .

ثم أشار إلى الملف الذى تحمله ، مستطردًا فى اهتمام :

- أهى واحدة من عملياته القديمة ؟!

مسحت دموعها ، وابتسمت ، مجيبة :

- مفاجأة جيِّدة .. أليس كذلك ؟!

هتف بكل دهشة الدنيا :

- ولكن كيف سمحوا لك بحمله خارج الجهاز ؟! إنهم يرفضون حتى أن أحمله إلى حجرتى .

تنهَّدت ، قائلة :

- أقنعتهم بأن هذا سينتزعك من حالة الحزن والإحباط ، التى تمرّ بها ، وستدفعك إلى العودة إلى عشرات الأعمال ، التى تنتظر أصابعك الذهبية :

رمقها فى ريبة ، قائلاً :

- إطراء أنيق يا عزيزتى (منى) ، ولكننى لست أصدق أن هذا المبرِّر يكفيهم ؛ لكسر القواعد الصارمة ، وبالذات قواعد سرية الملفات .

هزَّت كتفيها ، ولوَّحت بالملف ، قائلة :

- ربما لا تنطبق تلك القواعد على هذا الملف بالذات .

سأل فى دهشة :

- وكيف ؟!

تنهَّدت مرة أخرى ، قبل أن تجيب :

- ربما لأنها ليست واحدة من المهمات السرية ، التى تنطبق عليها تلك القواعد .

هتف بدهشة أكبر :

- ليست رسمية ؟!

اعتدلت فى مقعدها ، وتسلل شغف واضح إلى صوتها ، وهى تقول :

- الواقع أن هذه المغامرة نادرة وفريدة للغاية ، فى تاريخ (أدهم) الطويل ، فقد دارت أحداثها فى مرحلة انتقالية خاصة جدًا من حياته .. كانت حرب أكتوبر ١٩٧٣م قد وضعت أوزارها ، وحصل هو فيها على نوط الشجاعة ، على الرغم من صغر سنه آنذاك ؛ لبطولته النادرة ، كضابط صاعقة بطل ، نجح وحده فى حماية ممر بأكمله ، ومنع إمدادات العدو من عبوره ، خلال الساعات الأولى للحرب(*) ، وكان مرشحًا للانتقال إلى صفوف المخابرات العامة ، ولكنه لم يلتحق بها رسميًا بعد .. وفى تلك الأيام ،

(*) راجع قصة (عملية عنق الزجاجة) .. المغامرة رقم (١١) من سلسلة الأعداد الخاصة ..

كان قد حصل على إجازة قصيرة ، مع تصريح رسمى بالسفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ؛ لحضور حفل تسليم شقيقه الطبيب الشاب - حينذاك - (أحمد صبرى) ، شهادة خاصة ، من الأكاديمية الطبية فى (واشنطن) ، لتخصصه فى مجال جراحات المخ والأعصاب بتفوق .

شرد بصرها ، وتراقصت على شفتيها ابتسامة حانية ، وهى تتابع :

- كان هدف (أدهم) الوحيد ، هو ألا تفوته تلك اللحظة الرائعة ، فى حياة شقيقه الوحيد ، الذى يفوز بأول جائزة طبية فى حياته ، ولم يخطر بباله قط ، عندما وصل إلى (نيويورك) ، أن إجازته القصيرة هذه ستشهد واحدًا من أعنف الصراعات ، التى خاضها فى حياته كلها ، وأنه سيواجه خلال أيام قليلة ، بل ساعات محدودة ، مخاطر لم يواجهها ، حتى فى أثناء حرب أكتوبر نفسها ، على الرغم من كل ما فعله فيها .

هتف (قدرى) ، وقد خلبت عباراتها لبه إلى أقصى حد :

- (منى) .. عزيزتى .. أرجوك .. لم أعد أطيق الانتظار لحظة واحدة .. أخبرينى ما الذى واجهه (أدهم صبرى) الشاب هناك ، فى تلك الأيام ؟

ابتسمت ، قائلة :

ـ كنت أعلم أن هذا سيُجدى .

ثم وضعت الملف على المائدة الصغيرة أمامها ، وفتحته ، قائلة :

ـ فليكن .. أرهف أذنيك ، واستمع إلىَّ جيدًا .

ولم تكن بحاجة إلى قولها هذا ..

فـ (قدرى) لم يرهف أذنيه فحسب ، وإنما أرهف كيانه كله ، وهو ينصت إليها بكل حواسه ، وهى تطالع أولى صفحات الملف .

وتروى القصة ..

قصة صراع (نيويورك) ..

الدامى .

★ ★ ★

٢ ـ إجـازة ..

ملأ (أدهم) صدره بهواء (نيويورك) البارد ، وهو يغادر مطار (جى . إف . كيه) ، فى أول زيارة له للولايات المتحدة الأمريكية ، وضمَّ ياقة معطفه إلى صدره ؛ لاتقاء البرد القارس ، وهو يبتسم فى هدوء ، ويتطلع إلى المطار الضخم ، الذى يراه لأوَّل مرة فى حياته ، على الرغم من كل ما قرأه ودرسه عنه ، باعتباره أكبر مطارات العالم كله ..

كان قد قضى رحلته كلها كعادته ، يراجع ويفحص ويدرس ، ويحفظ خرائط الطرق والمواصلات وأساليب التعامل والسير ، كما لقنه والده منذ زمن طويل ..

« المعرفة يا (أدهم) .. الشىء الذى يجعلك أكثر براعة من خصمك هو المعرفة .. »

« المعلومات الغزيرة تجعلك فى مواجهة خصمك أشبه بالمبصر ، الذى يقاتل جيشًا من العميان .. »

« اعرف أكثر ، تتضاعف فرصتك فى الفوز .. »

حملت ابتسامته لمحة من الوجد ، وهو يستعيد كلمات والده الراحل ، وهزّ رأسه فى بطء ، مستعيدًا ذكراه ، قبل أن يغمغم فى خفوت ، وهو يحمل حقيبته المنفردة الصغيرة ، ويتجه نحو واحدة من سيارات الأجرة الصفراء ، التى تميّز مدينة (نيويورك) :

ـ (أحمد) فعلها ، كما كنت تتمنى دومًا يا أبى .. لقد أصبح واحدًا من جراحى المخ والأعصاب ، قبل أن يتجاوز الثلاثين .. وأنا فى طريقى للعمل فى المخابرات العامة ، كما سعيت طوال عمرك .

شرد ببصره ، وهو يتابع فى شىء من الحزن :

ـ كما كنت أتمنى أن ترى هذا بنفسك ، ولكن ..

انعقد حاجباه ، وخرجت الكلمات من بين شفتيه غاضبة صارمة ، مع إضافته :

ـ الأوغاد حرموك من هذا بطعنة غادرة حقيرة .

لم يكن يبغض شيئًا ، فى حياته كلها ، مثلما يبغض الإسرائيليين ، الذين اغتالوا والده ، وهو بعد فى الثامنة عشرة من عمره .

لهذا قاتلهم بكل قوته وصلابته ، فى حرب السادس من أكتوبر ..

ولهذا أقسم أن يواصل قتالهم ، حتى آخر لحظة فى عمره ..

دار هذا فى ذهنه ، وهو يتجه نحو سيارة الأجرة ، ثم لم يلبث أن انتزع نفسه من شروده وذكرياته ، وتطلّع فى شىء من الفضول إلى فريق من الصحفيين والمصورين ، ينتظر فى اهتمام ، أمام أحد مبانى المطار القريبة ، على نحو يوحى بقدوم شخصية مهمة من خارج البلاد ، أو ..

قبل حتى أن تكتمل أفكاره ، ساد الهرج بين فريق الصحفيين ، واندفعوا كلهم فى لهفة واضحة ، نحو رجل أسود الوجه ، غادر مبنى المطار ، محاطًا بعدد من رجال الحرس الخاص ، الذين حاولوا إبعاد الصحفيين ، ومنعهم بالقوة من إلقاء أسئلتهم ، أو التقاط صورهم ، أو حتى الاقتراب من الرجل ، الذى بدا عصبيًا إلى حد واضح ، وهو يلوّح بيديه ، ويحثّ الخطى نحو سيارة سوداء ، تقف على مقربة من المكان ، وسائقها متأهّب للانطلاق ، فور وصول ركابها ..

ومنذ اللحظة الأولى ، تعرّف (أدهم) ذلك الأسود ..

كان واحدًا من زعماء حركة التحرير ، فى دولة من دول (إفريقيا) ، اشتهر بخطبه الحماسية ، وعباراته القوية ، ومعاداته للصهيونية ، بكل صورها وأشكالها ..

وتذكّر (أدهم) ، وهو يراقب محاولات رجال الصحافة المستميتة ، لالتقاط صور الرجل ، والفوز بتعليقاته ، إنه قد قرأ فى إحدى المجلات الدورية ، أن الزعيم الإفريقى سيزور (نيويورك) ، بدعوة من الحكومة الأمريكية ، للمشاركة فى مؤتمر عالمى للدفاع عن الحريات ، و ...

وفجأة ، توترت كل ذرة فى كيان (أدهم) ، وتوقّف عن السير ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وتحفّزت عضلاته على نحو عجيب ..

فهناك ، وسط الصحفيين ، الذين يحيطون بالزعيم الإفريقى ، كان هناك شخص يتحرّك ، ويشق طريقه بين الجمع ، على نحو مريب ..

من وجهة نظره هو على الأقل ..

وعلى عكس الباقين ، كان ذلك الشخص يخفى وجهه بمنظار داكن ، ولا يحمل ميكروفونًا ، أو آلة تصوير ، أو حتى جهاز تسجيل صغيرًا ، يبرّر انضمامه إلى ذلك الجمع الصحفى ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد كان يتجه نحو الزعيم الإفريقى مباشرة ، ويزيح كل من يعترض طريقه بخشونة واضحة ، حتى صار على مسافة متر واحد من الزعيم ، الذى كاد يبلغ السيارة السوداء بالفعل ، و ...

وبلا مقدمات ، انطلق (أدهم) يعدو بكل قوته ، نحو الجمع الصحفى ، وهو يهتف بالانجليزية :

- احترس .. إنه اغتيال .

فى نفس اللحظة ، التى انطلق فيها هتافه ، استل ذلك الشخص ، ذو المنظار الداكن ، مسدسًا من سترته ، فى سرعة كبيرة ، وصوّبه إلى رأس الزعيم الإفريقى ، من مسافة تقلّ عن المتر الواحد ، فصرخ (أدهم) مرة أخرى :

- احترسوا .

التقطت أذنا أحد رجال الحراسة ، المحيطين بالزعيم ، تلك الصرخة الأخيرة ، فتحرَّك بسرعة مناسبة ، ودفع الزعيم إلى الأمام بحركة حادة ، و ..

وانطلقت رصاصة القاتل ..

انطلقت من فوهة مسدس ، مزوَّد بكاتم للصوت ، ولكنها تجاوزت رأس الزعيم الإفريقى ، بسنتيمتر واحد ، بسبب تلك الدفعة المباغتة ، وأصابت ذلك الحارس ، لتنسف رأسه على نحو بشع ..

ومع تفجُّر الدماء ، تفجَّرت صرخات جموع الصحفيين ، وساد هرج رهيب ، واندفع طاقم حراسة الزعيم الإفريقى لحمايته ، ولكن ذلك الشخص ظلّ ثابتًا ، وهو يطلق ثلاث رصاصات أخرى ، نحو الزعيم ، الذى انطلقت منه صرخة ألم ، توحى بأن واحدة على الأقل من تلك الرصاصات الغادرة قد استقرَّت فى جسده ..

وبكل غضبه وثورته ، وكأنما أعاد إليه المشهد ذكرى اغتيال والده ، صرخ (أدهم) ، وهو يعدو كالصاروخ ، نحو جمع الصحفيين ، الذين تفرَّقوا فى ذعر غير منظَّم ، وراحوا يتخبطون بعضهم بالبعض :

- أيها الوغد .

كان طاقم حراسة الزعيم منشغل بحمايته ، ودفع جسده داخل السيارة السوداء ، فى حين منعهم الهرج والمرج من إطلاق النار نحو القاتل ، الذى انطلق يعدو بدوره ، نحو سيارة رياضية حمراء ، انطلقت نحوه لالتقاطه ..

أما (أدهم) ، فقد انفصل ساقاه عن آدميتهما ، وتحوَّلا إلى آلتين للعدو ، وهو يعدو نحو القاتل ، فى نفس الوقت الذى برز فيه رجال الشرطة ، وأمن المطار ، و ..

وبلغ القاتل تلك السيارة الرياضية الحمراء ، قبل أن يبلغه (أدهم) ، ووثب داخلها دون أن تتوقَّف ، فزادت من سرعتها فور أن أصبح داخلها ، وضاعف قائدها من سرعتها ، فأطلقت إطاراتها صريرًا مخيفًا ، امتزج بدوى الرصاصات ، التى أطلقها واحد من حراس الزعيم الإفريقى ، واثنان من رجال الشرطة نحوها ..

ومن السيارة ، انطلقت ضحكة ساخرة عالية ، عندما ارتطمت بها الرصاصات ، ثم ارتدَّت عنها فى عنف ، معلنة أن جسمها مصفَّح بما يكفى ، للوقاية من أية رصاصات عادية ..

وأمام عينى (أدهم) انحرفت السيارة الرياضية الحمراء ، على نحو أطلق صريرًا آخر قويًا ، قبل أن تنطلق مبتعدة ..

وخفض رجال الشرطة أسلحتهم وأحدهم يهتف فى حنق :

- لقد نجحوا فى الفرار بفعلتهم .

لم يسمع (أدهم) العبارة ..

ولم يكن الأمر يعنيه على نحو مباشر ..

ولكنه انطلق ..

شىء ما ، فى طبيعته ، وتكوينه ، وشخصيته الرافضة للغدر والوحشية ، جعله يقسم ، فى أعمق أعماقه ، على ألا يسمح للقاتل بالفرار ، والنجاة بفعلته الحقيرة ..

مهما كان الثمن ..

وفى نفس اللحظة ، التى انطلقت فيها سيارة الزعيم السوداء ، حاملة جسده المصاب ، ومن تبقى من طاقم حراسته ، فى طريقها إلى أقرب مستشفى لإسعافه ، ألقى (أدهم) حقيبته الصغيرة ، وانطلق يعدو نحو موقف

السيارات ، وقد وضع فى اعتباره مبدأ هندسيًا ثابتًا .. هو أن الطريق المستقيم هو أقرب مسافة بين نقطتين ..

ولأن موقف السيارات هو الطريق المستقيم الوحيد ، من موقعه حتى مخرج المطار ، فى حين أن السيارة الرياضية الحمراء مضطرة للدوران حول المكان كله ، عبر الطريق الممهَّد ، لتبلغ ذلك المخرج ، فقد انطلق (أدهم) عبره ، للحاق بها هناك ..

وكان مشهدًا مبهرًا بحق ..

سيارة رياضية قوية ، تنطلق نحو المخرج ، وشاب فى العشرينات يشق طريقه بين طوابير السيارات ، للحاق بها فى نقطة محدودة ..

وداخل السيارة الحمراء ، غمغم قائدها فى دهشة :

- ماذا يفعل هذا المجنون ؟!

أجابه القاتل ، وهو يفتح زجاج النافذة المجاور ، ويصوِّب مسدسه إلى (أدهم) :

- يسعى للموت .

أطلق السائق ضحكته الساخرة العالية ، وقال :

ـ لا تجعله ينتظر كثيرًا إذن .

غمغم القاتل ، وهو يسدّد مسدسه فى إحكام :

ـ بالتأكيد ..

قالها ، ثم ضغط الزناد ..

وانطلقت رصاصته نحو الهدف ..

بمنتهى الإحكام ..

★ ★ ★

« الطائرة وصلت فى موعدها ، وكل ركابها غادروا المنطقة الجمركية .. »

نطق الدكتور (أحمد) صبرى العبارة فى قلق ، وهو يعيد سمّاعة الهاتف إلى موضعها ، فابتسم زميله الدكتور (توفيق) ، قائلاً :

ـ عظيم .. فلتطمئن إذن ، ما دام كل شىء على ما يرام .

انعقد حاجبا الدكتور (أحمد) ، وهو يقول :

ـ لماذا لم يتصل فور وصوله ؟!

ضحك الدكتور (توفيق) وربّت على كتفه فى مرح ، قائلاً :

ـ يا لك من قلوق ! صحيح أنها الزيارة الأولى لشقيقك ، إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، ولكنه ليس طفلاً غريرًا .. إنه ضابط صاعقة كما تقول ، وأمثاله لا يمكن أن يضلوا طريقهم ، حتى فى (نيويورك) .

رمقه الدكتور (أحمد) بنظرة صامتة بضع لحظات ، قبل أن يقول :

ـ ومن قال إننى أخشى أن يصيبه مكروه ؟!

هتف الدكتور (توفيق) :

ـ ماذا إذن يا رجل ؟! هيا .. ما دام شقيقك ناضجًا هكذا ، فاطرح القلق عن نفسك ، وعش أجمل لحظات حياتك ، فغدًا مساءً ، ستحصل على شهادتك ، فى حفل تخرُّج أنيق ، وستجد شقيقك إلى جوارك ، و ...

قاطعه (أحمد) وكأنما يحدّث نفسه :

ـ إننى أخشى ما يمكن أن يفعله .

حدّق زميله فيه بدهشة ، وهو يتساءل :

ـ وما الذى يمكن أن يفعله ؟!

هزّ (أحمد) رأسه ، وأطلق من أعمق أعماق صدره زفرة ملتهبة ، وهو يقول :

ـ أى شىء .

ثم التفت إلى صديقه ، وعاد يهزّ رأسه ، مكملاً فى قلق واضح :

ـ أنت لا تعرف (أدهم) .

نطقها بإحساس خالص ، دون أن يدرى ، أو حتى يتصوّر ، أن شقيقه الوحيد كان يواجه بالفعل خطرًا ..

خطر الموت فى مطار (نيويورك) ..

بلا رحمة ..

* * *

مع قاتل محترف كهذا ، جرؤ على ارتكاب جريمته ، وسط حشد من الصحفيين ورجال الإعلام ، كان من الطبيعى أن تصيب رصاصته الهدف ، من المرة الأولى ..

ولكن المشكلة لم تكن فى المسدس ، أو التصويب ، أو حتى الرصاصة ..

لقد كانت فى الهدف نفسه ..

الهدف ، الذى وثب بغتة ، فى نفس اللحظة التى ضغط فيها القاتل الزناد ، ليتجاوز مقدّمة إحدى السيارات ، و ...

وانطلقت الرصاصة ، تحت قدمه تمامًا ..

ومع ارتطامها بالأرض ، أدرك (أدهم) أن خصميه قد قرّرا إطلاق النار ؛ لذا ، فقد استرجع كل ما تعلّمه فى قوات الصاعقة ، وراح يعدو فى خط متعرّج غير منتظم ، مواصلاً طريقه نحو نقطة التماس ..

وزاد السائق فى سرعة السيارة الرياضية الحمراء ، وهو يهتف :

ـ أى شيطان هذا ؟!

أما القاتل ، فقد أطلق رصاصة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

ثم نفدت خزانة رصاصاته كلها ..

وفى عصبية ، انتزع القاتل خزانة مسدسه ، وألقاها خلفه ، والتقط واحدة جديدة من جيبه ، هاتفًا :

- ماذا تنتظر يا رجل .. زد من سرعتك .. هيا .. اخرج بنا من هنا .

قال السائق ، وهو يعتصر دوّاسة الوقود بقدمه :

- إننا ننطلق بأقصى سرعتنا بالفعل .

حدّق القاتل فى (أدهم) ، الذى ما زال يعدو بسرعة مدهشة ، وهتف ، وهو يسحب مشط مسدسه ، بعد أن دفع فيه الخزانة الجديدة :

- مستحيل !

مع نهاية حروف كلمته ، كان (أدهم) قد بلغ السيارة بالفعل ، مع مساره المستقيم ، و ...

وقفز ..

كانت وثبة مدهشة ، مستحيلة ، مبهرة ، اتسعت معها عيون كل من شاهدها ، فى ذهول تام ، وهتف معها السائق فى عصبية :

- غبى .. لن ينجح أبدًا فى ..

قبل أن تكتمل عبارته ، ارتطم جسد (أدهم) بجسم السيارة ، ثم انزلق عنها فى عنف ، ولكن يد (أدهم)

تعلّقت بحلية بارزة ، عند حقيبتها الخلفية ، على نحو انطلقت معه شهقات الكل ، وهتفت صحفية تراقب المشهد من بعيد :

- رباه ! إنها معجزة !

تدافع المصورون الصحفيون لالتقاط صور المشهد المبهر ، فى حين هتف السائق ، فى سخط شديد :

- يا للسخافة ! لقد فعلها .. ذلك الشيطان تعلّق بالسيارة بالفعل .

استدار القاتل فى حركة حادة ، وأطلق رصاصتين نحو زجاج السيارة الخلفى ، وهو يهتف :

- فليمت هناك إذن .

صرخ السائق ، وهو ينحنى لتفادى رصاصة ، ارتدّت نحوه فى عنف :

- أيها الغبى .. رصاصاتك ستقتلنا نحن .. أنسيت أنها سيارة مصفّحة .

عض القاتل شفتيه فى غيظ ، وهو يتطلّع إلى (أدهم) ، الذى تشبث بحلية السيارة فى إصرار وصمود ، على

الرغم من سرعتها البالغة ، والمسار المتعرِّج ، الذى ينطلق به سائقها ، وقال فى حدة :

ـ دعه هناك إذن .. المهم أن نبتعد بأقصى سرعة ، قبل أن تظهر سيارات الشرطة .

انطلق السائق فى الطريق الممتدّ من المطار ، وهو يهتف فى عصبية :

ـ فليكن .. دعه يتشبث بنا ، ولنر ما الذى يمكنه أن يفعله ، مع سيارة مصفحة كهذه ..

ولو أنه علم ما يدور فى ذهن (أدهم) ، لما نطق عبارته هذه قط ..

« الكمال لله (سبحانه وتعالى) وحده يا (أدهم) .. لا يوجد شىء منيع تمامًا ، ما دامت لنا عقول ، قادرة على كشف نقاط ضعفه .. »

لم ينس (أدهم) عبارة والده هذه أبدًا ..

لا يوجد شىء منيع تمامًا ..

أو مصفح تمامًا ..

وكل السيارات ، حتى المصفَّحة منها ، لها نقطة ضعف رئيسية ، تشترك كلها فيها .. نقطة تحيلها ، من سيارة قوية ، إلى مجرَّد صندوق من المعدن ..

وبينما تدور تلك الأفكار فى رأسه ، تشبث بحلية السيارة بيسراه فحسب ، وحرَّر يمناه ، ليدسَّها فى جيب معطفه ، ويلتقط منه تلك المدية السويسرية ، التى أهداه إياه والده يومًا ، والتى لا تفارق جيبه أبدًا(*) ..

وبأسنانه ، فتح (أدهم) سلاح مديته ، وهو يغمغم ساخرًا :

ـ هنا تنتهى الرحلة أيها الوغدين .

نطقها ، ثم رفع مديته ، وهوى بنصلها على إطار السيارة الخلفى ..

ومع انفجار الإطار ، أفلت (أدهم) حلية السيارة ، وضمَّ ركبتين إلى صدره ، ودسَّ رأسه بين ذراعيه ، وترك جسده ينزلق ..

(*) فى ذلك الحين ، لم تكن أجهزة كشف المعادن والأسلحة موجودة ، فى كل مطارات العالم ، كما هى الآن ..

ومع ارتطامه العنيف بالأرض ، انحرفت السيارة على نحو مخيف ، وصرخ سائقها فى ارتياع :

ـ يا للشيطان ! .. لقد فعلها .

ومع قوله ، وثبت السيارة الرياضية الحمراء وثبة مخيفة ، ثم مالت على جانبها ، وارتطمت بالأرض فى عنف ، قبل أن تثب مرة أخرى ، ثم تسقط متدحرجة فى قوة ..

وفى الوقت ذاته ، كان جسد (أدهم) يتدحرج على الأرض ، وصوت عشرات من أجهزة التنبيه يصمّ أذنيه ، وآلام رهيبة تنطلق ، من كل مكان فى جسده ، ودماء تتناثر على ثيابه وعنقه ..

ثم ارتفع صوت فرامل سيارة قوية ، فى محاولة منها للتوقّف على الطريق الزلق ، قبل أن تنحرف بدورها ، وتواصل انزلاقها ، على نحو جعلها تتفادى جسد (أدهم) بصعوبة ، لترتطم بسيارة أخرى ، وتدفعها أمامها لمترين كاملين ..

ولم يدر (أدهم) كم دام تدحرجه ، على الأرض الصلبة الزلجة ، ولا كم من السيارات كادت ترتطم به ، قبل أن

يتوقّف جسده ، ويثب واقفًا على قدميه ، غير مبال بذلك الكم الهائل من الآلام ، التى تصرخ به خلاياه المصابة المجهدة ..

كان كل ما يعنيه هو أن يطمئن إلى ما أصاب السيارة الرياضية الحمراء ، وإلى أن القاتل لم يفلت بفعلته الحقيرة هذه ..

ومن بعيد ، لمح السيارة الحمراء مقلوبة ، على جانبها الأيسر ، ورأى القاتل يجاهد للخروج من النافذة المجاورة لمقعده ..

وتحرّك (أدهم) ، ليعدو نحو السيارة ، قبل أن يفلت القاتل ..

ليس من المهم كم تبعث كل خطوة فى جسده من آلام ، وعذاب بلا حدود ، وليس من المهم أن ينهار جسده فى النهاية ..

المهم ألا يفلت القاتل ..

مهما كان الثمن ..



وفى نفس اللحظة التى بدأ انطلاقه فيها ، كان القاتل يثب خارج السيارة ، وهو يحمل مسدسه ..

كان من الواضح أن اغتيال والده ، على يد قتلته من الصهاينة ، قد ترك فى نفسه بغضًا شديدًا لكل عمليات القتل والاغتيال ، وغضبًا بلا حدود على كل قاتل ..

غضب يكفى لبعث قوة هائلة فى جسده ..

قوة احتمال ..

وإصرار ..

وهجوم ..

وفى نفس اللحظة ، التى بدأ انطلاقه فيها ، كان القاتل يثب خارج السيارة ، وهو يحمل مسدسه ، المزوَّد بكاتم للصوت ، وزميله السائق يهتف به فى ألم مذعور :

ـ (جاك) .. ساعدنى .. المقود حطَّم صدرى .. ساعدنى على الخروج من هنا ، قبل أن تشتعل السيارة .

أدار (جاك) عينيه ، ولمح (أدهم) يعدو نحوه ، بمعطفه الممزَّق ، وإصراره المخيف ، فقال فى عصبية :

ـ لا وقت يا رجل .. لا وقت .. وأنت تعرف الأوامر .

اتسعت عينا السائق فى رعب ، وصرخ :

- لا يا (جاك) .. لا .. لاتفعلها .. ساعدنى .. أرجوك .

تراجع (جاك) ، مغمغمًا فى عصبية أكثر :

- لا وقت .

صرخ السائق :

- لا يا جاك .. لا ااا .

امتزجت صرختـه بصـوت الرصاصات المكتومـة ، التى أطلقها (جاك) على خزان الوقود فى السيارة ، ثم تراجـع فى سرعة ، عندما اشتعلت النار فى الخزان ، وانطلق يعدو مبتعدًا ، والسائق يصرخ :

- (جاك) .. أيها الوغد .. أيها الحقير .

ومع آخر حروف صرختـه ، دوى الانفجار ..

انفجرت السيارة الرياضية الحمراء فـى عنف ، ممزّقة جسد السائق بلا رحمة ، فى نفس اللحظة التى اعترض فيها (جاك) طريق سيارة نقل كبيرة ، ولوّح بمسدسه فى وجه سائقها ، صائحًا فى صرامة شرسة :

- مخابرات مركزية .. سأستولى على سيارتك بأمر القانون .

بدا الشك على وجه السـائق ، فصرخ (جـاك) ، وهو يدفع فوهة مسدسه فى صدره :

- أو سأرثها ، لو لم تفارقها فورًا .

وثب السائق من السـيارة مذعـورًا ، فى نفـس اللحظة التى بلغها فيهـا (أدهم) ، فاستدار إليـه (جـاك) ، بكل شراسة الدنيا ، صارخًا :

- هيا .. مت .. اكتف بما فعلت ، ومت .

قالهـا مـع رصاصاتـه ، التـى أطلقهـا نحـو (أدهـم) ، مما اضطر هذا الأخـير إلـى التـراجع فـى سرعة ، والوثب خارج الطريق ، لتفادى الرصاصـات المنـهمرة ، فى حين قفز (جـاك) إلـى مقعد السـائق ، وانطلـق بسيارة النقـل الضخمة كالصاروخ ..

ودون إضاعـة لحظـة واحـدة ، اندفـع (أدهـم) إلـى الطريق ، واستوقف أوّل سيارة فـى طريقـه ، وهـو يهتـف بلغة أمريكية سليمة :

- حالة طوارئ .. أحتاج إلى سيارتك فورًا .

هتف قائد السيارة فى توتر :

- ولماذا سيارتى بالذات ؟! إنها سيارة جديدة ! و ..

ولم يمنحه (أدهم) الفرصة لمواصلة حديثه ، حتى لا يضيع لحظة واحدة ، وإنما انتزعه من مقعده بذراع كالفولاذ ، قائلاً فى صرامة :

- تقبّل أسفى واعتذارى ، ولكن ليس لدى ما يكفى من الوقت للشرح والتفسير .

هتف الرجل معترضًا ومستنكرًا :

- هذا غير قانونى .. سأتقدّم بشكوى رسمية .

انطلق (أدهم) بالسيارة كالصاروخ ، وإطاراتها تطلق صرخة احتجاج عالية ، وهو يقول :

- افعل يا رجل ، وإذا ما انتهى هذا الأمر ، سأضمّ صوتى إلى صوتك .

كان (جاك) ينطلق بسيارة النقل فى جنون ، متجاوزًا كل علامات التحذير ، وقوانين السرعة والسير ، ولكن (أدهم) انطلق خلفه كالصاروخ ، وساعدته خفة السيارة التى يقودها على اللحاق بسيارة النقل ، وما إن لمحه (جاك) فى المرآة الجانبية للسيارة ، حتى هتف ، وهو يطلق ضحكة عصبية :

- يا لك من صفيق ! أتتصوَّر أن تلك السيارة الصغيرة ستوقف الخرتيت الذى أمتطيه .

قالها ، ثم انحرف بسيارة النقل فى عنف ، وارتطم بسيارة (أدهم) فى قوة ، ليدفعها خارج الطريق ، وهو يطلق ضحكة عالية ، تموج بالعصبية والانفعال ، وهو يصرخ :

- هيا .. كفاك عنادًا .. تعلَّم أن تموت بأناقه أيها الوقح .

كانت الصدمة عنيفة للغاية ، حتى إنها حطّمت الجانب الأيمن من سيارة (أدهم) ، ودفعتها خارج الطريق بالفعل ، ولكن (أدهم) تشبث بعجلة القيادة فى قوة ، وسيطر عليها بكل قوته ، وهو يغمغم :

- خطأ أيها الوغد .. الحجم ليس دليل القوة الوحيد .

ثم ضغط فرامل سيارته ، فى نفس اللحظة التى انحرفت فيها سيارة النقل نحوه مرة ثانية فى حدة ، وهو يكمل فى حزم :

- استعدّ لتلقّى الدرس .

انخفضت سرعة سيارته بغتة ، مع انحرافة سيارة (جاك) فأفلت من الاصطدام بمهارة ، جعلت هذا الأخير يهتف محنقًا :

ـ يا لك من محظوظ !

لم تكد الكلمات تتجاوز شفتيه ، حتى أدرك أنه مخطئ تمامًا فى عبارته ، إذ إن (أدهم) قد تصرَّف بمهارة مدهشة ، عندما ترك سيارة النقل تتجاوزه من يمينه إلى يساره ، ثم دار حول مؤخرتها ، وضغط دوَّاسة الوقود فى قوة ، فاندفعت كالصاروخ ، إلى يمين سيارة النقل ، فأدار (جاك) مقودها إلى اليسار فى عنف ، صائحًا :

ـ فليكن أيها العنيد .. سأريك الآن مدى ما تتمتَّع به من مهارة وخبرة .

انحرفت سيارته الضخمة نحو يسار سيارة (أدهم) فى عنف ، ولكن هذا الأخير مال إلى اليمين ، وهو يضغط دوَّاسة الوقود أكثر وأكثر ..

وأطاعته السيارة الصغيرة على نحو مدهش ..

ووثبت إلى الأمام بكل قوتها ..

وانحرفت سيارة (جاك) الكبيرة أكثر وأكثر ..

وأصبح سباقًا رهيبًا مخيفًا ..

سباق بين الحياة ..

والموت ..

سيارة النقل الضخمة تنحرف بسرعة ..

والسيارة الصغيرة تزيد من سرعتها أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وكان الفارق جزءًا من الثانية ..

وسنتيمترات تقل عن أصابع اليد الواحدة ..

جزء من الثانية ، تجاوزت فيه السيارة الصغيرة حافة سيارة النقل الضخمة ، التى فقدت توازنها ، مع اندفاعها وانحرافها العنيف ..

وداخل سيارة النقل ، صرخ (جاك) ، وهو يدفع مقود السيارة الضخمة إلى اليسار فى سرعة :

ـ مستحيل !

ولكن تلك الحركة العنيفة ، التى أقدم عليها ، كانت خاطئة إلى أقصى حد .. وبخاصة على أرض زلقة كهذه ..

فمع حركة الإطارات المباغتة ، مالت سيارة النقل فى عنف ، ثم انقلبت على جانبها بحركة مخيفة ، وارتطمت بالأرض فى قوة ..

ومع الارتطام ، انفصلت كابينة القيادة عن صندوق سيارة النقل الخلفى ، واندفعت إلى الأمام فى عنف ..

ورأى (أدهم) كابينة السيارة تندفع نحو سيارته الصغيرة بسرعة مخيفة ، فانعقد حاجباه ، وهو يهتف :

ـ ربَّاه !

ضغط فرامل السيارة ، ليخفِّف من سرعتها قليلاً ، وهو ينحرف بها إلى اليسار ، لتفادى الكابينة الضخمة ، التى تندفع نحوه براكبها كقنبلة هائلة رهيبة ..

وفى هذه المرة أيضًا ، كان الفارق جزءًا من الثانية .. وسنتيمترات محدودة ، معدودة ..

ولكن الفارق لم يكن لصالح (أدهم) هذه المرة ..

فبفارق سنتيمترين فحسب ، ارتطمت كابينة سيارة النقل الضخمة بسيارته الصغيرة ..

وبمنتهى العنف .

★ ★ ★

٣ ـ المفاجأة ..

ارتفع صوت لهاث (قدرى) من فرط الانفعال ، على نحو جعل (منى) تتوقَّف ، وتلتفت إليه ، قائلة :

ـ ماذا أصابك ؟! كلانا يعلم أن (أدهم) سينجو حتمًا من هذا الارتطام .

هتف فى حرارة :

ـ بالتأكيد .

ثم مال نحوها ، مستطردًا فى حماسة :

ـ ولكن الأمر كله مثير للغاية ، فـ (أدهم) لم يلتقط أنفاسه ، منذ وصل إلى (نيويورك) .. لقد بدأ كل شىء بسرعة مدهشة .

ابتسمت ، قائلة :

ـ لا تتعجَّل يا صديقى .. إنها البداية فحسب .

شهق هاتفًا :

ـ البداية ؟! هل استمرَّت المطاردة أكثر من هذا ؟!

ترددَّت لحظة ، وكأنما لا ترغب فى كشف الأحداث المقبلة ، ثم لم تلبث أن هزَّت كتفيها ، قائلة :

ـ الاصطدام لم يكن نهاية المطاردة بالتأكيد ، ولكن هذه ليست العقدة الوحيدة فى الأمر .

لعق شفتيه الجافتين بلسانه ، وهو يسألها :

ـ ماذا هناك أيضًا ؟!

رفعت سبابتها ، مجيبة :

ـ مفاجأة .. تلك المطاردة حملت لـ (أدهم) فى نهايتها مفاجأة مذهلة .

تراجع بحركة حادة ، هاتفًا بصوت مبحوح :

ـ يا إلهى ! يا إلهى .

ثم هبَّ من مقعده ، وهو يسألها بحماسة مضحكة :

ـ أنا أشعر بالجوع .. هل ترغبين فى تناول شطيرة لحم معى .

هزَّت رأسها نفيًا ، وأجابت بابتسامة باهتة :

ـ سأكتفى بقدح من الشاى .

غادرها فى سرعة مدهشة ، وكأنما استعاد شهيته كلها دفعة واحدة ، وحاولت هى أن تسترخى فى مقعدها ، وأن تطرد التفكير فى (أدهم) ومصيره من رأسها ..

كانت تشعر بمرارة شديدة ؛ لأنها تجلس هنا ، فى (مصر) فى الوقت الذى يرقد هو فيه هناك .. فى (موسكو) ..

وبصوت خافت متهدِّج ، وجدت نفسها تتمتم :

ـ آه يا (أدهم) .

حاولت حبس دموعها خلف جفنيها ، إلا أنها تمردَّت عليها ، وعادت تنهمر على وجهها ، فى نفس الوقت الذى تعالى فيه صوت ما يفعله (قدرى) فى المطبخ ، وكأنما يشنّ حربًا صغيرة ، لعمل الشاى وتلك الشطائر ..

أما هى ، فقد راح عقلها يسترجع تاريخها كله معه ..

مع (أدهم صبرى) ..

رجل المستحيل ..

الرجل ، الذى لم تحب فى عمرها سواه ..

الرجل الذى وهبته قلبها ..

وحبها ..

وحياتها كلها ..

« أما زلت تصرين على عدم تناول أى شىء بخلاف الشاى ؟! »

أتاها صوت (قدرى) بالعبارة من المطبخ ، فاعتدلت بسرعة على مقعدها ، ومسحت دموعها ، قائلة :

ـ بالتأكيد .

لم تمض لحظات على قولها ، حتى عاد إليها ، حاملاً قدحين من الشاى بالنعناع ، مع كومة من الشطائر ، وجلس على مقعده ، متسائلاً فى لهفة :

ـ تُرى ما المفاجأة ، التى واجهها (أدهم) ؟!

سألته فى حزم :

ـ هل ترغب فى معرفتها فورًا ، أم أنك تفضل متابعة الأحداث ؟!

تنهَّد ، وقضم قضمة كبيرة من شطيرة ، قبل أن يجيب :

ـ إننى فى غاية اللهفة لمعرفتها ، ولكن لن أغامر بخسارة تفصيلة واحدة ، من تفاصيل مغامرة لـ (أدهم صبرى) .

عادت تبتسم ، مغمغمة :

ـ عظيم ..

ثم التقطت الملف مرة أخرى ..

وواصلت الرواية ..

★ ★ ★

كان الاصطدام عنيفًا بحق ..

كابينة سيارة النقل الضخمة ، ارتطمت بطرف مؤخرة سيارة (أدهم) ، بسرعة تتجاوز المائة وعشرين كيلومترًا فى الساعة ..

ومع الصدمة القوية ، دارت سيارة (أدهم) حول نفسها فى عنف ، وانزلقت عشوائيًا على الأرض الزلقة ، على الرغم من محاولات (أدهم) المستميتة للسيطرة عليها ..

ثم فجأة ، انقلبت على جانبها ، وتدحرجت فى عنف ، وهى تتقافز على الأرض ككرة مطاطية مرنة ، قبل أن تستقر مقلوبة رأسًا على عقب ، على جانب الطريق ..

ومن بعيد ، ارتفعت أصوات أبواق سيارات الشرطة ، التى تندفع نحو المكان ، فى حين توقفت السيارات فى الطريق ، عندما توسطته كابينة سيارة النقل الضخمة ، وهتف أحد قادة السيارات فى ذعر :

ـ رباه ! يا له من حادث بشع .. تلك السيارة تحطَّمت تمامًا .. أراهن على أن رعونة سائق النقل هى التى ..

قبل أن يتمّ عبارته ، برز (جاك) من كابينة سيارة النقل ، وهو يحمل مسدسه ، وقد تهدَّلت خصلات شعره على جبينه ، وامتزجت بدماء جرح فى جبهته ، وبدت ملامحه وحشية شرسة ، على نحو جعل الكل يتراجع فى خوف ، فوثب هو خارج الكابينة ، وتلفَّت حوله ، صائحًا :

ـ فيم تحدقون ؟!

ارتجف الكل مع صرامته الشرسة ، وانطلق كل منهم عائدًا إلى سيارته ، فى حين تطلَّع هو إلى سيارة (أدهم)

المقلوبة فى غضب ، قبل أن يتجه إليها فى حزم شرس عصبى ، مغمغمًا :

ـ ستدفع ثمن غرورك هذا أيها الوقح .

كانت أبواق سيارات الشرطة تقترب أكثر وأكثر ، وأضواؤها المتذبذبة تلوح بالفعل ، عند بداية الطريق ، إلا أن (جاك) لم يبال بهذا ، وإنما واصل طريقه نحو سيارة (أدهم) ، وراح يطلق رصاصات مسدسه على خزان وقودها ، هاتفًا :

ـ يا للسخافة ! يبدو أننى مضطر لتكرار الموقف نفسه مرتين ، فى يوم واحد .

اشتعلت النيران فى خزان وقود سيارة (أدهم) لحظة ..

ثم دوى الانفجار ..

انفجرت السيارة كلها فى عنف ، فتراجع (جاك) بقفزة سريعة إلى الخلف ، وحدَّق لحظة فى النيران ، التى تأجَّجت فى قوة ، ثم لم يلبث أن أطلق ضحكة عصبية عالية ، قائلاً :

ـ رائع .. يمكنك أن تقسم إذن ، إنك قد واجهت الجحيم مرتين .

لم يكد يتم عبارته ، حتى سمع من خلفه صوتًا ساخرًا ، يقول :

ـ أما أنت فستواجهه الآن .

استدار (جاك) بجسده ومسدسه ، فى سرعة مدهشة ، إلى مصدر الصوت ، إلا أن أصابع فولاذية تحركت كالبرق ، وقبضت على معصمه فى قوة ، فى نفس اللحظة التى هوت فيها على فكه لكمة كالقنبلة ، و (أدهم) يكمل :

ـ ولكنه جحيم أرضى .

سقط مسدس (جاك) أرضًا ، واندفع جسده إلى الخلف فى عنف ، وسقط على ظهره فى قوة ، و ...

ولكنه استعاد سيطرته على نفسه بسرعة مدهشة ، ووثب واقفًا على قدميه ، وهو يقول فى شراسة :

ـ تتحدث عن الجحيم الأرضى ؟! فليكن .. سأذيقك إياه يا هذا .

قالها ، وانتزع قفازيه ، وألقاهما بعيدًا ، ثم ضم قبضتيه ، هاتفًا :

ـ الآن .

ووثب نحو (أدهم) ، وهو يطلق صيحة قتالية قوية ، ويدور حول نفسه ، ثم يركل بطلنا ركلة كالقنبلة ..

ولكن (أدهم) مال بجسده ، فى سرعة ومرونة مدهشتين ، وانحنى فى خفة ، ثم اعتدل فى سرعة ، ليهوى على فك (جاك) بلكمة قوية ، هاتفًا :

ـ أوافقك على أنه جحيم .

ثم دار حول نفسه ، ليركله فى معدته ، مستطردًا :

ـ ولكن لأينا ؟!

شهق (جاك) مع الركلة القوية ، وتراجع فى بطء ، فى نفس اللحظة التى وصلت فيها سيارات الشرطة ، وأحاطت بهما ، وقفز منها خمسة من رجال الشرطة ، صوبوا إليهما مسدساتهم ، وأحدهم يهتف فى صرامة :

ـ توقفا فورًا .

اعتدل (جاك) ، وهو يصيح :

ـ اقبضوا عليه .. إنه المجرم ، الذى حاول اغتيال الزعيم الإفريقى فى المطار .

هتف (أدهم) :

ـ كاذب غبى .. أنت القاتل الحقير ، وآلات التصوير سجّلت كل ما حدث بمنتهى الدقة .

ارتسمت ابتسامة عصبية ساخرة على شفتى (جاك) ، وهو يقول :

ـ محاولة ساذجة سخيفة أيها المجرم .

ثم اتجه نحو رجال الشرطة ، وهو يدس يده فى جيب سترته الداخلى ، فصاح فيه أحدهم :

ـ إياك أن تحاول .

هتف (جاك) :

ـ رويدك يا رجل .. إننى أخرج هويتى فحسب .

أخرج حافظته بالفعل ، ومد يده بها إلى الشرطى ، الذى صاح فى صرامة :

ـ أسقطها أرضًا ، وتراجع خمس خطوات .

أسقط (جاك) حافظته ، وتراجع خمس خطوات بالفعل ، وهو يقول بابتسامة عصبية :

ـ ستتأكَّد بنفسك .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يتابع حركة الشرطى ، الذى انحنى يلتقط حافظة (جاك) ، ليلقى نظرة على هويته ، قبل أن يهزّ رأسه ، قائلاً :

ـ آه .. كان ينبغى أن أتوقَّع هذا .

ثم صوَّب مسدسه إلى (أدهم) ، صائحًا :

ـ إياك أن تتحرَّك .

صاح (أدهم) فى حدة :

ـ هذا الرجل قاتل حقير .

اندفع اثنان من رجال الشرطة نحو (أدهم) ، وأخرج أحدهم الأغلال المعدنية من حزامه ، ورجل الشرطة الأوَّل يقول ، فى سخرية :

ـ قاتل حقير ؟! يا لك من ساذج ! هذا الرجل يعمل فى أرفع جهة أمنية حكومية يا هذا .

تلاشت العصبية من ابتسامة (جاك) ، وعقد ساعديه أمام صدره ، فى ثقة شامتة ، ورجل الشرطة يتابع :

ـ فى المخابرات المركزية الأمريكية .

وكانت مفاجأة حقيقية لـ (أدهم) ..

مفاجأة مذهلة ..

* * *

اندفع الدكتور (توفيق) إلى حجرة زميله (أحمد صبرى) ، هاتفا :

ـ هل سمعت بما حدث فى مطار (جى . إف . كى) فى (نيويورك) ؟!

هبَّ (أحمد) من مقعده ، هاتفًا :

ـ وماذا حدث ؟!

أجابه (توفيق) فى انفعال :

ـ بعضهم حاول اغتيال الزعيم الإفريقى فى المطار ، ولكن شخصًا مجهولاً أنقذه من الموت ، وطارد قتلته بأسلوب مذهل ، تصفه الأخبار بأنه أشبه بما يفعله المخاطرون فى السينما .

امتقع وجه (أحمد) ، وهو يهتف :

ـ هل قالوا هذا ؟!

هتف (توفيق) :

ـ بالتأكيد .. الأخبار مثيرة للغاية .. لابد وأن تشاهدها بنفسك .

امتقع وجه (أحمد) أكثر ، وهو يغمغم :

ـ يا إلهى ! (أدهم) .

ثم اندفع نحو جهاز التلفاز الصغير فى حجرته ، مستطردًا :

ـ هل أذاعوا صورة ذلك المنقذ المجهول ؟!

أجابه (توفيق) ، وقد تسللت إليه الحيرة :

ـ يذيعون فيلمًا غير واضح الملامح ، ولكن لماذا هذا الذعر ؟!

تراجع (أحمد) ، ليشاهد شاشة التلفاز ، مغمغمًا :

ـ إنه (أدهم) .

هتف (توفيق) بدهشة بالغة :

ـ شقيقك ؟!

أومأ (أحمد) برأسه إيجابًا ، فحدّق فيه (توفيق) لحظة فى ذهول ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه فى قوة ، هاتفًا فى استنكار :

ـ مستحيل ! ولماذا يورِّط شقيقك نفسه فى أمر كهذا ؟!

زفر (أحمد) فى مرارة ، هاتفًا :

ـ بل قل : كيف لا يورِّط نفسه فى أمر كهذا ؟!

هتف (توفيق) :

ـ ولكن ليس من المنطقى أن ..

قاطعه (أحمد) بإشارة من يده ، قائلاً فى عصبية :

ـ اصمت بالله عليك .. سيعيدون إذاعة ذلك الفيلم ، وأريد أن أتابعه بدقة .

أطبق (توفيق) شفتيه مرغمًا ، فى حين بدا التركيز على كل ذرة من كيان (أحمد) ، وهو يتابع الفيلم القصير ، الذى يعرضه التلفاز للمرة الثالثة ، خلال أقلّ من ساعة واحدة ..

كان فيلمًا لا يتجاوز الدقيقة الواحدة ، تم تصويره من مسافة بعيدة ، لـ (أدهم) وهو يعدو عبر موقف سيارات المطار ، ليلتقى بالسيارة الرياضية الحمراء ، التى تدور حول المكان ، ثم يثب ليتعلّق بها ، فى مهارة مثيرة مدهشة ..

وعلى الرغم من أن المسافة جعلت من المستحيل تمييز الأشخاص والملامح ، إلا أن (أحمد) هتف بصوت مرتجف مذعور :

ـ رباه ! إنه هو .

هتف (توفيق) مرة أخرى ، فى استنكار أكثر :

ـ شقيقك ؟!

ولم يجب (أحمد) هذه المرة ..

فكل ذرة من وجوده كانت تشعر بقلق عارم ..

قلق بلا حدود ..

كل خلية فى مخه كانت تصرخ بالذعر ، وتتساءل : تُرى ما الذى انتهى إليه الأمر ؟!

وأين شقيقه (أدهم) الآن ؟!

أين ؟!

أين ؟!

* * *

« أنت متهم بمحاولة اغتيال الزعيم الإفريقى ، والتعدّى على رجل مخابرات .. »

نطق ضابط البوليس الفيدرالى (موريس) العبارة ، فى صرامة شديدة ، وهو يواجه (أدهم) ، الذى قال فى هدوء :

ـ تهمة سخيفة ، ولا تستند على أى دليل ، بل على العكس .. الكل رأى رجل مخابراتك الوغد هذا ، وهو يطلق النار على الزعيم الإفريقى ، وعدسات التصوير كلها تشهد بأننى طاردته فى استماتة ، حتى أوقعت به .

ابتسم (جاك) فى سخرية ، قائلاً :

ـ يا للصفاقة ! كل هذا لأنك سرقت معطفى ، تحت تهديد السلاح .. هل تتصوَّر أنه من السهل أن تتهم المخابرات المركزية الأمريكية ، بمحاولة اغتيال زعيم يدافع عن الحريات ؟!

واجهه (أدهم) فى صرامة ، قائلاً :

ـ لست أتهم المخابرات الأمريكية كلها ، بل وغدًا من أوغادها فحسب .

هتف الضابط الفيدرالى :

ـ هراء .

وضرب سطح مكتبه براحته ، وهو ينهض من مقعده ، مستطردًا :

ـ ما تقوله خطير للغاية ، ولو أنك تصرّ على اتهاماتك ، فعليك أن تؤيدها بدليل ، إذ إن الفيلم ، الذى تم التقاطه لما حدث ، لا يمكن أن نميِّز منه سوى المعطف ، والسيِّد (جاك) يقول : إنك قد سرقته منه .. كلمتك إذن مقابل كلمته ، ومصداقيّتك مقابل مصداقيته ، خاصة وأن المسدس الوحيد ، الذى عثرنا عليه فى موقع الحادث ، والذى نعتقد أنه السلاح المستخدم فى محاولة الاغتيال ، لا يحوى أية بصمات .

هتف (جاك) فى سرعة :

ـ لقد كان يرتدى قفازين ، وألقاهما بعيدًا عندما تواجهنا بعد مطاردتى له .

قال (أدهم) فى سخرية :

ـ لعبة حقيرة أخرى أيها الوغد .

هتف الفيدرالى فى صرامة :

ـ اصمت .

مال (أدهم) إلى الأمام ، واستند إلى سطح مكتب الضابط (موريس) ، والأغلال ما زالت تحيط بمعصميه ، وقال فى هدوء لا يخلو من رنة ساخرة :

ـ قل لى يا رجل : هل تصدِّق ما يقوله ذلك الوغد ، لمجرَّد أنه يحمل هوية ضابط مخابرات ، أم لأنك مقتنع بأننى بالفعل قاتل ذلك الزعيم ؟!

قال الضابط (موريس) فى صرامة :

ـ لا يمكننى الشك فى أقوال رجل مخابرات ، مقابل اتهام بلا أدلة ، من أجنبى ، وصل إلى البلاد منذ أقل من ساعتين فحسب .

تطلَّع (أدهم) إلى عينيه لحظة ، فى سخرية ، ثم اعتدل فى هدوء ، قائلا :

ـ هذا جواب مباشر لسؤالى .

انعقد حاجبا (موريس) ، وهتف بأحد رجاله :

ـ أيها الضابط .. اصحبه إلى زنزانته ، حتى أنتهى من أخذ أقوال السيِّد (جاك) رسميًا .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (أدهم) ، وهو يقول :

ـ هل تظن هذا يُجدى بحق ؟!

صرخ الضابط (موريس) فى حدة :

ـ هيا .. أخرجوه من هنا .

دفع الضابط الآخر (أدهم) أمامه فى خشونه ، فى حين التفت (موريس) إلى (جاك) ، وقال فى توتر :

ـ لماذا يكرِّر اتهامه بهذا الإصرار ؟!

هزَّ (جاك) كتفيه ، وقال فى لا مبالاة :

ـ وما الذى أمامه سوى هذا ؟! إنه حتى لا يدرك أن روايته سخيفة مجنونة ..

صمت (موريس) بضع لحظات ، وهو يتطلَّع إليه بنظرة غير مريحة ، قبل أن يميل نحوه ، قائلاً :

- هل تعلم يا سيِّد (جاك) .. طوال عشر سنوات من العمل ، فى مهنتى هذه ، لم أجد الحقيقة الخالصة ، إلا فى أكثر الروايات سخافة وجنونًا .

انعقد حاجبا (جاك) فى شدة ، وهو يقول :

- ما الذى تعنيه بقولك هذا بالضبط ؟!

تراجع (موريس) ، قائلاً :

- أعنى ما فهمته بالضبط يا سيِّد (جاك) .

هتف (جاك) فى حدة :

- هل تتهم الحكومة بقتل الزعيم الإفريقى ؟!

ابتسم (موريس) فى سخرية ، قائلاً :

- ليس الحكومة ، ولكن المخابرات المركزية .

ثم عاد يميل نحوه ، مستطردًا فى صرامة :

- وأنت تعلم أن الفارق ضخم .

انعقد حاجبا (جاك) ، وهو يقول :

- ولماذا تسعى المخابرات المركزية لاغتيال زعيم إفريقى ، لا يسعى إلا للحريات ، التى ننادى بها دومًا ، و ..

قاطعه (موريس) بضحكة عالية مجلجلة ، جعلت وجهه يحتقن بشدة ، وهو يهتف :

- ما معنى هذا ؟!

تطلَّع (موريس) إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول :

- معناه أننى لست غرًّا ساذجًا كما تتصوَّر يا هذا .. ولقد تضمنت تدريباتى فترة قضيتها فى (لانجلى) (*) ، وفيها عرفت الحقيقة كلها .

سأله (جاك) فى حذر :

- أية حقيقة ؟!

هزَّ (موريس) كتفيه ، قائلاً :

- حقيقة أن الحرية ، وحماية المواطن ، وأمن الشعوب ، ما هى إلا شعارات ، نردِّدها على الناخبين فحسب ، حتى يستقر النظام هنا ، ولكن ما إن يتعارض هذا مع مصالحنا ، حتى يتحتم تدميره بلا تردُّد أو هوادة .

(*) (لانجلى) بولاية (فرجينيا) الأمريكية ، هى مقر المخابرات المركزية هناك . (المقر الرئيسى) .

رمقه (جاك) بنظرة طويلة صارمة ، قبل أن يقول فى بطء :

ـ وما الذى يمكن أن يعنيه رأيك هذا ؟! أقصد بالنسبة لهذه القضية بالتحديد ؟!

صمت (موريس) بضع لحظات ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ اسمعنى جيدًا يا رجل المخابرات .. أنا رجل قانون ، وسأؤدى دورى حتى آخر لحظة ، وبأسلوب قانونى تمامًا .. ومن حسن حظك أن ذلك الإفريقى لم يلق مصرعه .. صحيح أن الرصاصات اخترقت صدره ورئته اليمنى ، إلا أنهم يجرون له حاليًا عملية جراحية ، يتوقعون لها النجاح ، وما دامت كل الأمور تشير إلى أن ذلك الأجنبى هو الذى أطلق عليه النار ، محاولاً اغتياله ، فسأتصرّف وفقًا لهذا ، وسأحتجزه هنا ، حتى تنتهى كل التحقيقات ، ثم نحيله إلى المحاكمة .

سأله (جاك) فى عصبية :

ـ وماذا عنى ؟!

مطّ شفتيه ، مجيبًا :

ـ مسئولوا المخابرات ، الذين اتصلت بهم ، أكّدوا أنك أحد رجالهم ، وأنكروا أن تحاول حتى الإقدام على فعلة كهذه ، لذا فسأطلق سراحك ، بضمان وظيفتك .

هبّ (جاك) واقفًا ، وهو يقول :

ـ فورًا ؟!

مطّ (موريس) شفتيه مرة أخرى ، وهو يجيب :

ـ نعم .. فورًا .

تنفس (جاك) الصعداء ، وعدّل وضع سترته ورباط عنقه ، وهو يبتسم فى ثقة ، قائلاً :

ـ عظيم .. سأنصرف إذن ، وسأترك لك عنوانى ورقم هاتفى ، و ...

قاطعه فجأة صوت ساخر ، يقول :

ـ ولم العجلة .. الليل على الأبواب ، وما زالت لدينا أمسية لطيفة نقضيها معًا .

استدار (جاك) و (موريس) فى حدة إلى مصدر الصوت ، ثم اتسعت عيونهما فى ذهول تام ..

فأمامهم مباشرة ، كانت هناك مفاجأة ..

مفاجأة مذهلة ..

أخرى .

* * *

٤ـ الحصار..

« أراهن على أنه (أدهم) .. »

هتف (قدرى) بالعبارة فى لهفة ، انحشرت معها آخر قضمة من شطيرته فى حلقه ، فسعل بشدة ، واختطف كوبًا من الماء ، ليفرغه فى جوفه ، ثم سعل مرة أخرى ، فابتسمت (منى) ، قائلة :

ـ أمر طبيعى .

هتف فى حماس :

ـ ولكن كيف ؟! لقد اقتاده الضابط إلى زنزانة مغلقة ، وكان معصماه محاطين بالأغلال .

هزّت كتفيها ، مجيبة فى ثقة :

ـ ولكنه (أدهم) .

قال فى حيرة :

ـ كان لا يزال شابًا حينذاك ، ولم يكن قد انضمّ إلى المخابرات العامة بعد .

قالت فى اهتمام ، لا يخلو من إعجاب واضح :

ـ ولكنه كان أحد ضباط الصاعقة ، وأحد أبطال حرب الاستنزاف ، ثم لا تنس ما لقنه إياه والده ، طوال ما يزيد على عشر سنوات .

ثم تراجعت فى مقعدها ، مستطردة :

ـ ومن بين ما دربّه عليه ، التخلُّص من القيود .. كل نوع من القيود .. كان رحمه اللّه بعيد النظر ، واسع الاطلاع ، شديد الطموح ، ولقد أراد أن يصنع من ابنه حالة نادرة ، لا مثيل لها عبر التاريخ .

هتف (قدرى) :

ـ ولقد فعل .

ثم عاد يسأل فى اهتمام :

ـ ولكن التخلُّص من أغلال فولاذية ، يحتاج إلى شىء من الأدوات على الأقل ، ولست أظنهم تركوا له مدية والده السويسرية فى جيب معطفه .

هزّت رأسها نفيًا ، قائلة :

ـ كلاً بـالطبع .. لقد أخذوا معطفـه كلـه ، بكل أوراقـه وجواز سفره ، ومديته السويسرية متعدّدة الأسلحة .

هتف ، وقد التهمه الفضول :

ـ كيف فعلها إذن ؟!

ابتسمت ، قائلة :

ـ دعنا نقرأ بأنفسنا .

هتف بكل حماسة الدنيا :

ـ فليكن .. هيا .. الفضول يكاد يقتلنى ، لمعرفة ما حدث .

أومأت برأسها ، قائلة :

ـ بالتأكيد ..

وعادت تفتح الملف ..

وتروى ..

* * *

اتسعت عينا (جاك) عن آخرهما ، على نحو لم يحدث فى حياته كلها ، فى حين كاد (موريس) يصـاب بأزمـة

قلبية ، وهـو يحدّق فـى وجـه (أدهم) ، الـذى دلـف إلـى الحجرة فـى سـرعة ، وأغلـق بابهـا خلفـه ، وهـو يصـوّب إليهما مسدسًا فيدراليًّا ، ويكمل فى سخرية :

ـ مفاجأة ! أليس كذلك ؟!

هتف به (موريس) فى ذهول :

ـ ولكن كيف ؟! كيف ؟!

هزّ (أدهم) كتفيه ، وهو يخرج من جيب سترته سـلكًا معدنيًّا ملتويًا ، ويقول :

ـ لقد استخدمت هذا .

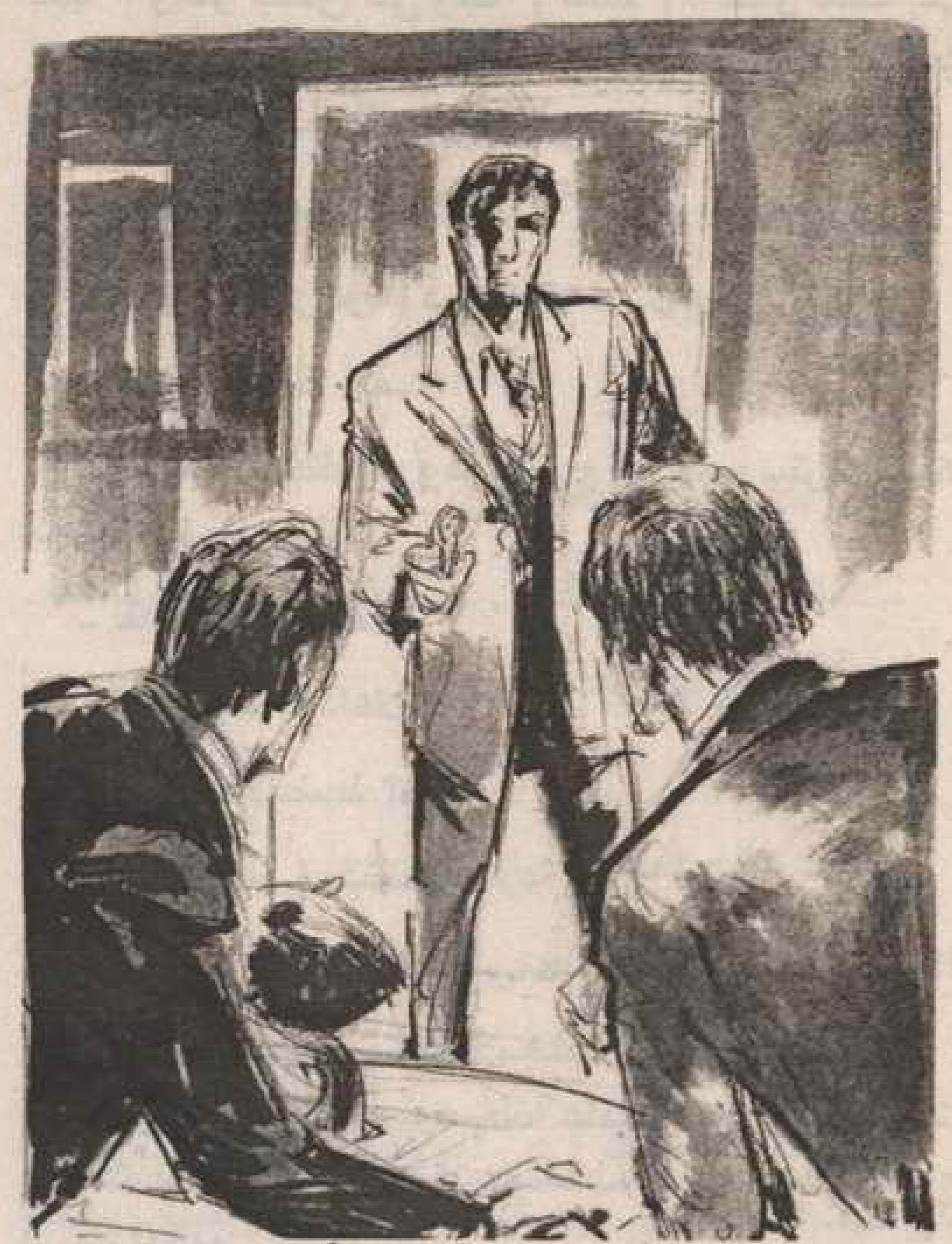
غمغم (جاك) ذاهلاً :

ـ وما هذا بالضبط ؟!

أجابه (أدهم) بابتسامة باردة :

ـ هل تذكر عندما استندت إلى سطح مكتبك أيها الفيدرالى ؟!

لقد التقطت عندئذ مشـبكًا معدنيًّا ، من مشـابك الورق ، من بيـن مستنداتك ، وبوساطته فككت قيـودى ، وباغتت ضابطك بهجوم لم يتوقّعه أو يحتاط لـه ، وهـذا خطـأ فـادح فى تدريباتهم .



كاد (موريس) يصاب بأزمة قلبية وهو يحدِّق فى وجه (أدهم) ،
الذى دلف إلى الحجرة فى سرعة

هتف (موريس) فى ذهول :

ـ هل تخلَّصت من قيودك الفولاذية ، بمشبك معدنى ؟!

لوَّح (أدهم) بالسلك المعدنى ، قائلاً :

سيدهشك حقًا أن تعرف قائمة الأشياء ، التى يمكنك أن تفعلها ، بمشبك ورق معدنى كهذا .

هتف (جاك) فجأة :

ـ أنت محترف .

التفت إليه (أدهم) ، قائلاً فى سخرية :

ـ حقًا ؟!

واصل (جاك) فى عصبية :

ـ كان ينبغى أن أدرك هذا منذ البداية .. أنت لست شخصًا عاديًا .. لقد تلقيت تدريبات لا يتلقاها سوى المحترفين .

جاء دور (موريس) ، ليهتف فى ذهول :

ـ حقًا ؟!

لوَّح (أدهم) بمسدسه ، قائلاً :

- هراء آخر ، من رجل المخابرات الأمريكى الوغد هذا .. محاولة سخيفة لتبرير حقارته .

صاح (جاك) ، وهو يندفع نحوه :

- أقسم إنك محترف .

انقضَّ على (أدهم) بغتة ، على الرغم من المسدس الذى يحمله هذا الأخير ، الذى تفادى انقضاضة رجل المخابرات الأمريكى ، بوثبة جانبية رشيقة ، ثم دار حول نفسه ، وهوى على مؤخرة عنق الرجل بمسدسه ، قائلاً :

- فليكن أيها الوغد .. أنت أردت هذا .

قفز (موريس) من مكانه ، فى نفس اللحظة التى سقط فيها (جاك) ، والتقط مسدسه من غمده ، وهو يضغط زر الإنذار ، صارخًا :

- النجدة .. أريد إمدادات عاجلة ..

انطلق صوت جرس الإنذار فى عنف ، يتردَّد فى المبنى كله ، معلنًا وجود حالة طارئة ، فى حجرة مكتب (موريس) ، فأدار (أدهم) مسدسه إليه فى سرعة ،

وأطلق رصاصة ، أطاحت بمسدس (موريس) ، ثم وثب يوصد باب مكتب هذا الأخير فى إحكام ، فصاح (موريس) فى حدَّة :

- هيا .. اقتلنى لو أردت .. أنا لا أخشى الموت .

أجابه (أدهم) فى صرامة ، وهو يختطف المسدس ، الذى أطاح به ، ويدسه فى جيبه :

- لو أردت قتلك ، لما كنت تقف هنا الآن ، وتقول ما تقول .

هتف (موريس) :

- وبقائى على قيد الحياة لن يفيدك ، فما هى إلا نصف دقيقة ، ويصبح من المستحيل أن تغادر مكتبى .. كل رجل أمن هنا سيحاصر المكان .

التقط (أدهم) ممحاة مطاطية من المكتب ، وهو يقول :

- هذا يعنى حتمية أن أتحركَ بسرعة أكبر إذن .

حدَّق (موريس) فيه ، هاتفًا :

- مستحيل ! لن تغادر هذا المكان حيًّا .

غرس (أدهم) السلك المعدنى فى الممحاة ، واخترقها به ، ثم لوى طرفيه ، وهو يقول :

ـ لا تقلق نفسك بأمرى .

قالها ، وانتزع مقبس المصباح الكبير على مكتب (موريس) ، من مفتاح الإنارة فى الجدار ، ثم أمسك الممحاة المطاطية ، ودسّ طرفى السلك البارزين منها فى فتحتى المفتاح ..

ودوت فرقعة مكتومة ، قبل أن ينقطع التيار كله دفعة واحدة ، وينقطع جرس الإنذار ، مع هبوط الظلام المباغت ..

وانتفض جسد (موريس) فى عنف ..

وعلى الرغم من الظلام ، اتسعت عيناه عن آخرهما ، فى انبهار تام ..

فما فعله (أدهم) كان بارعًا ..

وبحق ..

ولكن (موريس) انتزع نفسه من انبهاره ، وهو يهتف فى عصبية :

ـ هذا لن يفيد .. المولّد الاحتياطى سيعمل بعد عشرين ثانية فحسب .

وثب (أدهم) نحو الباب ، قائلاً فى حزم :

ـ هذا كل ما أحتاج إليه .

وبجرأة مدهشة ، فتح باب المكتب وسط الظلام ، هاتفًا :

ـ إنه بالداخل .. لقد أفقدته الوعى .. اقبضوا عليه .. أريده حيًّا .

وفى هذه المرة ، لم تتسع عينا (موريس) فى ذهول فحسب ..

لقد ارتجّ كيانه كله ، حتى إن جسده قد سقط على مقعده فى عنف ..

فالهتاف الذى أطلقه (أدهم) ، قبل أن يعدو مبتعدًا ، مفسحًا الطريق أمام العشرات من رجال الأمن ، الذين اندفعوا إلى حجرة (موريس) ، كان بصوته هو ..

صوت (موريس) نفسه ..

وبمنتهى الإتقان ..

ولثوان ، ظلَّ (موريس) ، ذاهلاً صامتًا ، وكل المسدسات مصوبَّة إلى جسده ، عبر بصيص الضوء ، الذى يتسلَّل من مصباح بالشارع ..

ثم فجأة ، بدأ المولِّد الاحتياطى عمله ، واشتعلت الأضواء لتغمر المكان ، فانتفض جسده بعنف ، وكأنما أفاق من ذهوله ، وهبَّ من مقعده ، صارخًا :

ـ أيها الحمقى .. إنه أنا .. الآخر هرب .. الحقوا به .. الحقوا به بسرعة .

حدَّق رجال الأمن فيه بذهول ، وتساءلوا عمن واجههم عند الباب ، وتسمَّروا فى أماكنهم لحظة ، صرخ فيها (موريس) بكل الغضب :

ـ ماذا تنتظرون ؟!

اندفع الجميع للحاق بـ (أدهم) ..

أو بمحاولة اللحاق به ..

أما (موريس) ، فبكل غضب الدنيا ، التقط مسماع جهاز الاتصال اللاسلكى العام ، وهتف :

ـ هنا الضابط الفيدرالى (موريس) .. أريد إغلاق هذا المربع السكنى تمامًا لمدة ساعة كاملة .. لا تسمحوا لمخلوق واحد بالخروج منه ، دون التيقن من صحة أوراقه .. لا أجانب أو مهاجرين غير شرعيين .. لا أحد يغادر هذا المربع السكنى ، مهما كانت الأسباب .. هل تفهمون ؟!

أتاه تأكيد من جميع الوحدات بالمنطقة ، فانتقل إلى موجة أخرى ، وهتف عبرها :

ـ لدينا هارب مشتبه به ، فى محاولة اغتيال سياسية أريد ثلاث طائرات هليكوبتر فورًا ، مع خمس من فرق مكافحة الإرهاب .. أريد انتشارًا كاملاً ، وعاجلاً .. أكرِّر .. انتشارًا عاجلاً كاملاً .

أنهى اتصالاته ، وفتح درج مكتبه ، والتقط منه مسدسًا آخر ، دسَّه فى حزامه ، وهو يلقى نظرة ازدراء على (جاك) ، الذى لا يزال فاقد الوعى ، وغمغم فى عصبية :

ـ سنرى الآن كيف سينقذك مشبك الورق المعدنى من هذا الحصار أيها الأجنبى المتحذلق .

قالها ، وغادر مكتبه فى حزم ، وكيانه كله يسعى لهدف واحد ..

القضاء على (أدهم صبرى) ..

وبأى ثمن ..

* * *

امتقع وجه (توفيق) ، وهو يطالع نشرة الأخبار الأخيرة ، قائلاً فى ارتياع شديد :

ـ رباه ! إنهم يتهمون شقيقك بمحاولة اغتيال الزعيم الإفريقى .

انعقد حاجبا (أحمد) فى شدة ، وهو يقول :

ـ كنت أتوقَّع هذا .. كنت أتوقَّعه .

استدار إليه (توفيق) فى حدة ، هاتفًا :

ـ أن يحاول اغتيال الزعيم ؟!

هزَّ (أحمد) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ بل أن يورِّط نفسه فى مشكلة رهيبة .

أشار (توفيق) إلى الشاشة ، قائلاً فى عصبية :

ـ مشكلة ؟! إنها كارثة يا رجل .. شقيقك متهم بمحاولة اغتيال سياسية ، وهم لا يتسامحون مع مثل هذه الأمور هنا ، ثم إنه هرب من رجال الشرطة الفيدرالية بالفعل ، وها هم أولاء يوزعون نشرة بأوصافه .. كل هذا تعتبره مجرَّد مشكلة ؟!

صمت (أحمد) بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ (أدهم) سيجد وسيلة .

هتف (توفيق) :

ـ أية وسيلة ؟! شقيقك أجنبى ، يزور الولايات المتحدة الأمريكية لأوَّل مرة ، وكل سلطاتها تطارده ، بكل ما تملكه من قوة وتكنولوجيا ، وشرعية قانونية ، وسيارات ، وطائرات ، و ..

قاطعه (أحمد) فى صرامة :

ـ (أدهم) سيجد وسيلة .

لوَّح (توفيق) بذراعيه ، هاتفًا :

ـ أنت لا تعرف الأمريكيين ..

واجهه (أحمد) ، صائحًا :

ـ وأنت لا تعرف (أدهم) ..

ثم تراجع ، مضيفًا بكل حزم وصرامة وثقة الدنيا :

- لا تعرفه مثلما أعرفه أنا .

تطلَّع إليه (توفيق) بضع لحظات فى إشفاق ، قبل أن يقول :

- ألا تشعر بالخوف على الأقل ؟!

أجابه (أحمد) فى سرعة :

- بالتأكيد .. أشعر بالخوف ..

وصمت لحظة ، قبل أن يكمل فى حزم :

- عليهم .

وارتفع حاجبا (توفيق) بدهشة لا محدودة ..

ففى تلك اللحظة ، خُيِّل إليه أن زميله ، الذى سيحظى مساء الغد بشهادة تخصُّص خاصة ، فى جراحة المخ والأعصاب(*) ، لم يعد هو ذلك الهادئ الرصين ، الذى عرفه دومًا ..

(*) الدكتور (أحمد صبرى) حصل على شهادته الأساسية ، فى جراحة المخ والأعصاب ، من (السويد) ، وهذا قبيل تلك الأحداث مباشرة ، أما تلك الشهادة ، التى حصل عليها من الولايات المتحدة الأمريكية ، فهى دبلوم تخصُّص ، فى جراحة نادرة ، من جراحات المخ والأعصاب .

إنه الآن شخص مختلف ..

مختلف إلى حد مدهش ..

شخص يؤمن بأن شقيقه بمفرده ، قادر على مواجهة سلطة دولة .. دولة مثل الولايات المتحدة الأمريكية .. بأكملها ..

* * *

خلا مبنى الشرطة أو كاد ، بعد أن انطلق الكل للبحث عن (أدهم) ، ومع رفع حالة الطوارئ إلى الدرجة القصوى ، تم إغلاق معظم المبنى ، فيما عدا الأجزاء الخاصة بالفريق المحدود ، الذى يتولَّى شئون المبنى ، ويقوم على حراسته وحمايته ، ومتابعة أية طوارئ أخرى محتملة ..

وفى الطابق الذى يعلو حجرة مكتب (موريس) مباشرة ، انزاح جزء من السقف فى هدوء ونعومة ، كاشفًا مسار ممرات التكييف المركزى ، وانزلق منه جسد (أدهم) فى خفة ، ووثب ليستقر أرضًا ، ثم اعتدل ، وتلفَّت حوله ، متمتمًا فى سخرية :

- أراهن على أن الكل يقتلون المناطق المحيطة بحثًا الآن .

تحرَّك فى سرعة ، وغادر المكان ، وراح يجولُ فى ممرات الطابق فى حذر ، حتى بلغ منطقة الدواليب الشخصية للفيدراليين ، فأخرج من جيبه ذلك السلك المعدنى ، وراح يعالج به أقفال الدواليب فى سرعة ومهارة ، ويبحث فى كل دولاب عن شىء ما ، وعندما لا يجده ، يعيد إغلاق الدولاب ، ثم ينتقل إلى آخر ..

وبعد دقائق عشر ، عثر على بغيته ..

درع معدنى أنيق ، يحمل رقمًا مسلسلاً ، مع شعار مكتب التحقيقات الفيدرالى الأمريكى (إن . بى . آى) ..

وفى هدوء ، شدَّ قامته ، وعدَّل من هندامه ، وأسدل خصلة شعر ، لتخفى جرحًا فى جبهته ، وهو يثبت الدرع فى جيب سترته العلوى ، قبل أن يغادر المكان إلى الطابق السفلى ، فى ثقة تستحق الإعجاب ..

وفى هدوء عجيب ، وثقة بلا حدود ، قطع ممر الطابق ، متجهًا نحو مخزن حفظ الأدلة ، ووقف أمام المسئول عنه فى ثبات ، قائلاً :

- العميل (إدجار) .. أريد كل الأدلة ، الخاصة بمحاولة اغتيال الزعيم الإفريقى .

أجابه الرجل فى آلية ، وهو يلقى نظرة على الشارة ، المعلقة على جيب سترته ؛ ليتأكد من صحتها :

- المسدس والقفازات تم إرسالها إلى المعمل الجنائى .

سأله فى هدوء :

- وماذا عن باقى الأدلة ؟!

التقط الرجل كيسًا من البلاستيك ، من أحد الأرفف ، وهو يقول :

- النقود ، وجواز السفر ، وتلك المطواة السويسرية ، وسلسلة مفاتيح ، كلها هنا .

مد (أدهم) يده ليلتقط الكيس بمحتوياته ، قائلاً :

- عظيم .. سآخذها كلها .

جذب الرجل يده بعيدًا ، وهو يقول فى صرامة :

- مستحيل !

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، قائلاً :

ـ ولماذا مستحيل ! إننى الضابط المسئول عن القضية الآن .

سأله الرجل فى شك :

ـ وماذا عن الضابط (موريس) ؟!

أجابه فى بساطة وهدوء :

ـ ألم تسمع ما حدث يا رجل ؟! إنه منشغل الآن بمطاردة ذلك الهارب .

أومأ الرجل برأسه متفهمًا ، وقال :

ـ ولكن لا بد أن أحصل على توقيعك بالاستلام .

التقط (أدهم) القلم ، قائلاً :

ـ بكل تأكيد .

وقَّع الأوراق المطلوبة بكل ثقة وثبات ، والتقط كيس الأدلة ، ودسَّه فى جيبه ، وهو يقول مبتسمًا :

ـ سأذكرك ولا شك فى تقريرى يا رجل ، فقد كنت متعاونًا بحق .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى سمع صوتًا عصبيًا من خلفه ، يقول :

ـ وماذا عنى ؟! هل ستذكرنى فى تقريرك أيضًا ؟!

استدار (أدهم) فى هدوء عجيب ، يتطلَّع إلى صاحب الصوت ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو ينظر باستهتار إلى فوهة المسدس المصوَّبة إلى صدره ، ويقول لصاحبها :

ـ إذن فقد استعدت وعيك أخيرًا أيها الوغد .

نقل مسئول مخزن الأدلة بصره بينهما فى توتر ، هاتفًا :

ـ ما الذى يحدث هنا بالضبط ؟!

أجابه (جاك) فى عصبية :

ـ الذى يحدث هو أن الشخص ، الذى يقلب الكل الدنيا عليه فى الخارج ، قد خدعهم جميعًا ، وبقى هنا .

تراجع مسئول المخزن كالمصعوق ، وهو يهتف :

ـ رباه ! هل تعنى أن ..

قاطعه (أدهم) فى سخرية :

- إنه على حق يا رجل .. أنا صاحب هذه الأدلة ، الذى يبحث الكل عنه ، وهذا الوغد ..

استدار بسرعة ، وهو يلقى كلماته الأخيرة ، ووثب فجأة فى خفة ، وركل المسدس من يد (جاك) مستطردًا .

- يعتقد نفسه بارعًا .

فوجئ (جاك) بتلك الانقضاضة المباغتة ، ولكنه لم يكد يفقد مسدسه ، حتى انقضّ على (أدهم) بكل قوته ، صائحًا فى مسئول المخزن :

- أطلق إشارة الإنذار .

حدّق الرجل ذاهلاً فى الرجلين ، اللذين اشتبكا ببعضهما ، بمنتهى العنف ، ثم اندفع فجأة نحو زر الإنذار ، وضغطه صارخًا :

- النجدة .. النجدة ..

كان (جاك) مقاتلاً شرسًا بالفعل ، تلقّى تدريباته فى واحد من أقوى أجهزة المخابرات فى العالم ، بحيث يمكنه هزيمة خصم قوى ، خلال أربعين ثانية فحسب ..

ولكن (أدهم) لم يكن أبدًا بالخصم الهين ..

إنه مقاتل مصرى ، خاض مؤخرًا حربًا ضروسًا ، تحتاج إلى مهارات بلا حدود ..

مقاتل فريد فى عالم المقاتلين ..

مقاتل سيحمل فى المستقبل لقبًا متميزًا ، لن يباريه فيه أحد .. لقب (رجل المستحيل) ..

لذا ، فالقتال لم يستغرق حتى تلك الثوانى الأربعين ..

فبلكمة كالقنبلة ، حسم (أدهم) الأمر ، ودفع جسد (جاك) بمنتهى العنف ، ليرتطم بالجدار ، ثم يسقط على وجهه أرضًا ..

وفى اللحظة نفسها ، امتزج دوى جرس الإنذار بوقع الأقدام ، التى تندفع نحو المكان فى حين صاح مسئول المخزن ، وهو يستلّ مسدسه :

- توقّف .. لا تحاول الـ ..

مال (أدهم) بسرعة مدهشة ، واختطف مسدس (جاك) الملقى أرضًا ، وأطلق منه رصاصة أطاحت بمسدس الرجل ، وهو يهتف :

- لا تحاول أنت ..

تراجع الرجل فى رعب ، عندما أصابت رصاصة (أدهم) مسدسه مباشرة ، وراح يصرخ :

- النجدة .. أسرعوا .. النجدة ..

انطلق (أدهم) يعدو بكل قوته ، ووقع الأقدام يقترب أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

لم يكن يعرف جغرافية المكان جيدًا ، لذا فلم يكن أمامه سوى أن يبتعد عن وقع الأقدام التى تطارده ، بأية وسيلة كانت ..

ولكن من الواضح أن الكل كان يهرع إليه من كل صوب ، فقد تعالى وقع الأقدام من اليمين واليسار ..

وحتى من أسفل ..

وهذا يعنى أنه لم يعد هناك سوى سبيل واحد ..

السطح ..

كان اختيارًا يفتقر إلى الحكمة ، ويضع الأمر فى خانة قد لا يمكن الفكاك منها أبدًا ..

ولكنه كان السبيل الوحيد ..

وخاصة عندما ظهر بعض الرجال فى نهاية الممر ..

وانطلقت رصاصاتهم ..

عندئذ حسم (أدهم) الأمر ، وانطلق يعدو عبر درجات السلم ، الصاعدة إلى السطح ..

وفى صرامة ، هتف أحد رجال الشرطة الفيدراليين :

- لا تسمحوا له بالفرار هذه المرة .. حاصروا المبنى كله .. أبلغوا (موريس) والقوات التابعة له .. أسرعوا ..

كان من الواضح أن موقف (أدهم) يزداد صعوبة أكثر وأكثر ..

بل وتكاد الدوائر كلها تطبق عليه من كل صوب ..

إلا أنه لم يتوقَّف لحظة ..

لقد واصل العدو ، مع كل ما يحيط به ، ومع وقع الأقدام التى تعدو صاعدة خلفه ، حتى بلغ السطح ، فى الطابق العاشر ..

وما إن وجد نفسه هناك ، حتى استدار يغلق باب السطح خلفه ، برتاجه المعدنى الضخم ، وهو يغمغم :

ـ هذا سيكفى لتعطيلهم فحسب .

قالها ، وتلفَّت حوله ، ليفحص المصيدة ، التى وضع نفسه فيها ..

كان السطح ضخمًا ، بمساحة المبنى كله ، وليس له سوى مدخل واحد وتتوسَّطه دائرة كبيرة بيضاء ، من الواضح أنها مهبط للهليكوبتر ..

ولم يكن هناك مكان واحد ، يمكن الاحتماء خلفه ، أو التخفى داخله ..

وفى نفس اللحظات ، التى فحص فيها المكان ، كان رجال الشرطة الفيدراليون قد بلغوا السطح ، وهتف أحدهم ، وهو يلهث فى قوة :

ـ لقد أغلق الباب من الداخل ، ورصاصاتنا لن تفلح ، مع باب من الصلب ، ورتاج قوى كهذا .

انعقد حاجبا قائدهم ، وهو يتطلَّع إلى الباب ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ سنستخدم المتفجرات .

ثم أشار بيده ، متسائلاً فى حدة :

ـ هل أبلغتم الضابط (موريس) ؟!

أجابه أحدهم :

ـ نعم .. وهو فى طريقه إلى هنا ، وطائرتىَ الهليكوبتر ستصلان فى أيةَ لحظة .

قال القائد :

ـ عظيم .. أريد فريقًا من القناصة أيضًا ، على كل الأسطح المحيطة .. مرهم بإطلاق النار دون إنذار ، إذا ما بدرت منه أيةَ بادرة للمقاومة .

ثم انعقد حاجباه مرة ثانية ، وهو يضيف :

ـ لا أريد أن أمنحه فرصة نجاة واحدة هذه المرة ..

أما (أدهم) ، فقد كان ينبش السطح فى لهفة ، بحثًا عن أى شىء ، يمكن أن يعاونه على الفرار ..

ولكن السطح كان خاليًا تمامًا تقريبًا ، حتى إنه غمغم فى سخرية :

ـ لأوَّل مرة أشعر بالحنق ، لأن بعضهم يهتمّ كثيرًا بنظافة الأسطح .

مع نهاية عبارته ، بدا أزيز طائرتى الهليكوبتر واضحًا ، فاعتدل (أدهم) ، قائلاً لنفسه فى شىء من التوتر :

- آه .. سلاح الطيران أيضًا سينضمّ إلى المطاردة .. يا له من موقف لا تُحسد عليه أبدًا يا (أدهم) .

برزت طائرتا الهليكوبتر هذه المرة ، فى نهاية قوله ، واتجهتا نحو السطح مباشرة ، وعلى متن كل منهما قناص ، يصوِّب بندقيته إلى (أدهم) ، ومن إحدى الطائرتين ، وعبر مكبِّر صوتى قوى ، قال قائد الهليكوبتر فى صرامة :

- لا يوجد أمامك سبيل للفرار أيها الأجنبى .. استسلم فورًا ، أو نطلق النار بلا رحمة .

كانت الطائرتان تقتربان فى ثقة ، والقناصان على متنهما يصوبان بندقيتهما إلى (أدهم) مباشرة ، والقناصة الآخرون يحتلون أماكنهم ، على الأسطح المجاورة ، ورجال الشرطة يستعدون لنسف الرتاج ، واقتحام السطح ..

باختصار ، لم يعد هناك سبيل واحد للفرار هذه المرة .. على الإطلاق .

* * *

٥ - الثعلب ..

انعقد حاجبا (موريس) فى حنق ، وسيارته تشق طريقها فى صعوبة ، وسط زحام (نيويورك) على الرغم من أبواقها ، التى تنطلق طوال الوقت ، على نحو جعله يهتف فى حنق :

- ماذا أصاب الجميع ؟! كيف سنؤدى عملنا ، والكل يرفض أن يفسح لنا الطريق ؟!

أجابه أحد رجال الشرطة فى حذر :

- إنهم مرغمون ، فالزحام شديد .

هتف (موريس) :

- ولكن الصحافة لا تقدِّر هذا ، عندما تهاجمنا فى شراسة ، وتتهمنا بالتقصير والتراخى .

قال سائق السيارة ، محاولاً تهدئته :

- لا بأس .. لهذا نستخدم الخيَّالة ، وطائرات الهليكوبتر ، وراكبى الدراجات الآلية .

التقط (موريس) مسماع اللاسلكى ، وهو يقول فى توتر :

ـ بمناسبة الحديث عن طائرات الهليكوبتر ، أرجو أن تكون الطائرتان قد بلغتا المبنى بالفعل .

قالها ، وضغط زر الاتصال ، قائلاً :

ـ من القائد إلى الصقور .. ما موقعكم الآن ؟!

أتاه صوت قائد إحدى الطائرتين ، وهو يقول فى حزم :

ـ نحن على مسافة عشرة أمتار من السطح ، ونواصل الاقتراب فى حذر .. الهدف واضح تمامًا ، ولا يوجد ما يمكنه أن يحتمى به .. إننا نحاصره من الجانبين ، والقناصة مستعدون لإطلاق النار ، لو بدرت منه أية بادرة .

قال (موريس) فى لهفة :

ـ عظيم .. حاولوا إلقاء القبض عليه حيًا ، لو أمكنكم هذا .. لست أريده صريعًا .. هناك الكثير مما أريد معرفته منه .

سأله قائد الهليكوبتر فى اهتمام :

ـ وماذا لو قاوم ، أو أطلق النار ؟!

انعقد حاجبا (موريس) فى صرامة ، وهو يجيب :

ـ عندئذ أطلقوا النار فورًا ، وبلا تردُّد .

أتاه صوت قائد الهليكوبتر ، وهو يقول فى ارتياح ، وكأنما يروق له هذا القرار :

ـ عظيم .

أنهى (موريس) الاتصال ، وتراجع فى مقعده ، وأطلق من أعمق أعماق صدره زفرة ملتهبة ، قبل أن يغمغم :

ـ والآن ، فلنر كيف تخرج من هذا الحصار ، أيها الأجنبى المغرور !

صدقت يا (موريس) ، فهذا هو السؤال الآن ..

كيف يخرج (أدهم) من هذا الحصار ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

* * *

« أنا أيضًا أتساءل : كيف ؟! »

هتف (قدرى) بالعبارة ، وهو يتراجع فى مقعده ، ويلوّح بيده فى انفعال ، فتراجعت (منى) فى مقعدها بدورها ، قائلة :

ـ كلانا يعلم أنه سيفعلها .. أليس كذلك ؟!

هتف :

ـ بالتأكيد .

ثم مال نحوها ، مستعيدًا لهفته ، وهو يكمل :

ـ ولكن كيف ؟!

ابتسمت ، وشرد بصرها ، وهى تقول فى حنان يمتزج بإعجاب وتقدير واضحين :

ـ هنا تكمن عبقرية (أدهم) ، وبراعته ، وقدراته المدهشة .. ولو أردت رأيى ، فإن أكثر مايميِّزه هو ثقته اللامتناهيه بنفسه وقدراته ، والتى تدفعه إلى القيام بأعمال مذهلة ، يراها الآخرون ضربًا من المستحيل .

ابتسم (قدرى) بدوره ، قائلاً فى حماسة :

ـ إنه لم يحصل على لقبه عبثًا .

ثم عاد يسأل بلهفة شديدة :

ـ ولكن أخبرينى باللّه عليك .. كيف خرج من هذا الحصار الرهيب .

أشارت إلى الملف ، قائلة :

ـ سنجد الإجابة هنا بالتأكيد .

وعادت تروى ..

* * *

اقتربت طائرتا الهليكوبتر أكثر وأكثر من السطح ، الذى وقف عليه (أدهم) هادئًا صامتًا ساكنًا ، على نحو استفزّ رجال القنّاصة ، فصوّبوا إليه مناظير بنادقهم فى تحفُّز شديد ، وبدت سبّابتهم ، وكأنها تنتظر هفوة واحدة ، لتعتصر الأزندة فى قوة ، وتطلق الرصاصات كلها نحو الهدف ..

نحو (أدهم) ..

وبتكنيك مدروس ، دارت إحدى الطائرتين حول السطح ، فى حين اقتربت منه الثانية ، وقائدها يقول ، عبر مكبر الصوت فى صرامة :

ـ لا تحاول المقاومة .. أبلغونا أن مسدسك لا يحوى سوى رصاصة واحدة ، وهناك أكثر من ثمان بنادق قنَّاصة مصوَّبة إلى رأسك مباشرة .

لم يحرك (أدهم) ساكنًا ، على الرغم من كل هذا ، وبدا وكأنه قد تحوَّل إلى تمثال من الرخام ، تركزت عيناه على الهليكوبتر ، التى تقترب فى حذر أكثر من السطح ، والقناص على متنها متحفز لإطلاق النار ، فى أية لحظة ..

وخارج باب السطح ، ثبت الرجال المادة المتفجرة ، وتراجعوا فى سرعة ، وقائدهم يقول فى صرامة :

ـ عشر ثوان ويبدأ التفجير .. تسع .. ثمان .. سبع ..

ومع العد التنازلى ، اقتربت الهليكوبتر أكثر وأكثر ، وقائدها يقول ، عبر مكبر الصوت القوى :

ـ ماذا ستفعل رصاصة واحدة ، فى مواجهة جيش من الشرطة ، يحاصرك من كل صوب ، و ...

وفجأة ، وقبل أن يتمَّ الرجل عبارته ، عبر مكبرُ الصوت ، تحرَّك (أدهم) ..

لم يتحرَّك بالمعنى البسيط ، وإنما انطلق فجأة كالصاروخ ، من حالة الثبات ، دون أية مقدمات ، واندفع نحو الهليكوبتر ، التى تبعد أربعة أمتار تقريبًا عن السطح ..

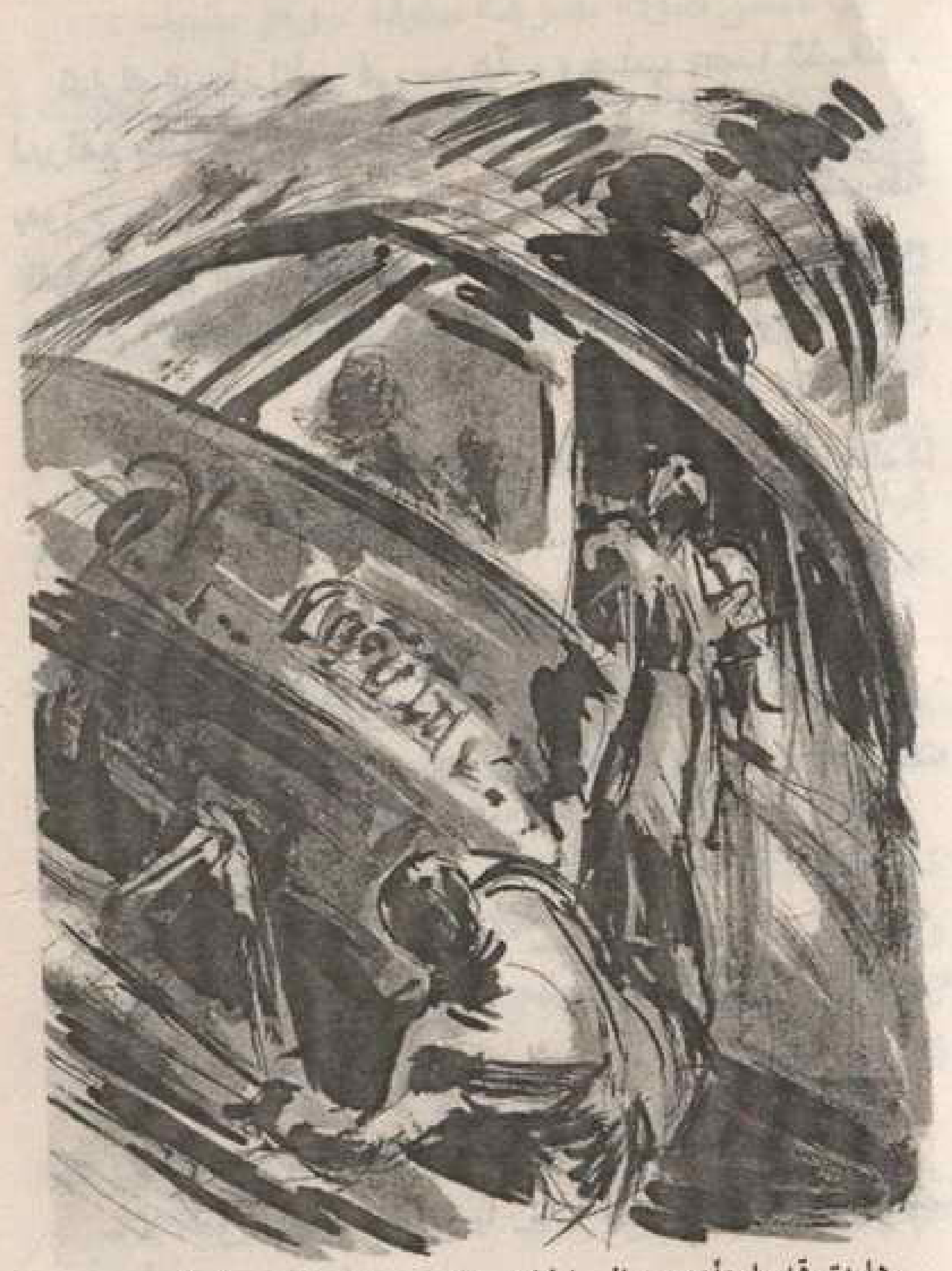
وانتفض القنَّاصة مع المفاجأة ، وضغطت سباباتهم أزندة بنادقهم فى آن واحد ، بحركة غريزية سريعة ..

وفى اللحظة نفسها ، أو قبلها بجزء من الثانية ، أطلق (أدهم) رصاصته الوحيدة ..

أطلقها نحو البندقية ، التى يصوِّبها إليه القناص ، على الهليكوبتر المواجهة له ، فأطاح بها فى قوة ، فى نفس اللحظة التى تفجَّرت فيها رصاصات القناصة على السطح ، وطاشت كلها ، بسبب اندفاعته المباغتة ..

وقبل أن يستعدوا لإطلاق رصاصة ثانية ، كان هو قد قفز بكل قوته ..

ويا لها من قفزة ..



دارت قدما (أدهم) إلى الخلف ودار جسده كله حول نفسه ، دورة رأسية خلفية ، لتركل قدماه القناص ..

لقد اندفع جسده فى الهواء ، عبر أربعة أمتار كاملة ، بدا خلالها أشبه بنسر قوى عملاق ، قبل أن يتعلَّق بالهليكوبتر ، التى اختلّ توازنها فى عنف ، مع الزيادة المباغتة فى الوزن ، فمالت على نحو مخيف ..

وقبل أن تعتدل الهليكوبتر ، وقبل أن يستعيد القناص داخلها توازنه ، دارت قدما (أدهم) إلى الخلف ، ودار جسده كله حول نفسه ، دورة رأسية خلفية ، لتركل قدماه القناص فى عنف ، ثم يثب بجسده كله داخل الطائرة ، بمرونة مذهلة ، تفوق حتى تلك التى تبهر المشاهدين على شاشات السينما ..

وكان مشهدًا مذهلاً بكل المقاييس ..

وضاعف من تأثيره أن دوى الانفجار عند باب السطح ، فى نفس اللحظة التى أصبح فيها جسد (أدهم) داخل الهليكوبتر ..

ومع ذهوله ، كاد قائد الهليكوبتر الثانية يرتطم بالمبنى ، لولا أن صرخ فيه القناص المصاحب له :

ـ احترس يا رجل .

تدارك الرجل الأمر فى سرعة ، وجذب عصا القيادة ، ليرتفع بالهليكوبتر ، على نحو منع القناص من القيام بدوره ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها رجال الشرطة الفيدراليون إلى السطح ، وأطلق فيها قناصة الأسطح المجاورة رصاصاتهم ، نحو الهليكوبتر ، التى أصبح (أدهم) داخلها ..

ومع ارتطام الرصاصات بجسم الهليكوبتر ، جذب قائدها عصا القيادة ، ليبتعد عن مرماهم ، وهو يصرخ :

ـ ماذا يفعل هؤلاء المجانين ؟!

أجابه (أدهم) فى سخرية من خلفه :

ـ يلعبون الدور الذى لقنوهم إياه يا رجل .. عضلات بلا عقول .

ارتعد جسد الرجل ، وهو يهتف :

ـ إنك لن تجرؤ على مهاجمتى .. لو فقدت الوعى ، فمن سيقود الهليكوبتر ؟!

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، قائلاً :

ـ لا تقلق نفسك بشأنى يا رجل .. إننى أستطيع دومًا تولّى أمورى على نحو ما .

ثم اكتسى صوته بصرامة مخيفة ، وهو يضيف :

ـ والآن أمامك ثانيتان فحسب ، لتحل حزام مقعدك ، وتتنحىَ جانبًا .

كانت الهليكوبتر قد ابتعدت بالفعل عن مرمى نيران القنّاصة ، ورجال الشرطة الفيدراليون على السطح ، ولكن الهليكوبتر الثانية كانت ترتفع ، استعدادًا لمهاجمتها ، لذا فما إن حلَّ الرجل حزام مقعده ، وتخلى عنه ، حتى وثب إليهِ (أدهم) ، وهوى بحافة يده على جانب عنق الرجل ، هاتفًا :

ـ معذرة .. ولكن الأمر لا يحتمل وجود شوكةَ فى الظهر .

فى نفس اللحظة ، التى سقط فيها الرجل فاقد الوعى ، كانت الهليكوبتر الثانية تنقضَّ على هليكوبتر (أدهم) ، والقناص داخلها يمطرِها برصاصاته ، التى بدا وقع ارتطامها بجسمها مخيفًا ، و (أدهم) يلتقط عصا القيادة ، قائلاً فى حزم :

ـ تريد اختبارًا للمهارة يا رجل ؟! فليكن .. دعنى أرك مهارة مقاتلى أكتوبر .

قالها ، وجذب عصا القيادة ، فارتفعت الهليكوبتر على نحو مباغت ، ثم مالت على جانبها ، بزاوية بالغة الخطورة ، وهى تنطلق متجاوزة الهليكوبتر الثانية ، ومتجهة نحو ناطحات سحاب (نيويورك) ..

وعبر جهاز الاتصال اللاسلكى ، هتف قائد الهليكوبتر الثانية ، وهو يستدير لمطاردة هليكوبتر (أدهم) :

- رباه ! هل رأيتم هذا ؟! هل رأيتم ما فعله ؟! إننى طيار محترف فى صفوف الشرطة ، منذ عشر سنوات ، ولم أشاهد قط من يقود الهليكوبتر بهذه البراعة ، حتى فى خدع الأفلام السينمائية .. إنه مذهل بحق .

أتاه صوت (موريس) ، عبر اللاسلكى ، وهو يقول فى حدة :

- كفَّ عن التغزُّل فى براعته ، وانطلق خلفه يا رجل .. لا تسمح له بالفرار أبدًا .. هل تسمعنى .. أبدًا .

هتف الطيار :

- إننى أنطلق خلفه بالفعل .. إنه ينطلق بسرعة مخيفة ..

ساد الصمت لحظة ، عبر أجهزة الاتصال ، والطائرتان تنطلقان بسرعة فى سماء (نيويورك) ، ثم تابع قائد الهليكوبتر ، عبر جهاز اللاسلكى :

- ولكنه لن يبتعد كثيرًا .. رصاصات القناصة أصابت خزان وقوده .. لقد رأيت الوقود يتطاير بنفسى .

سأله (موريس) فى لهفة متوترة :

- إلى أى مدى يمكنه التحليق ، بخزان وقود مصاب ؟!

أجابه الطيَّار فى سرعة :

- لست أدرى أين يمكن أن يذهب بالضبط ، ولكن لو أن خزان طائرته كان ممتلئًا حتى آخره ، فسيتبقى أمامه ما يكفى لعشر دقائق من الطيران على الأكثر .

هتف (موريس) :

- عظيم .. واصل مطاردته إذن ، وسأطلب مساندة إضافية .. هيا يا رجل .. أثبت له براعتك .

كان طيَّار الهليكوبتر الثانية يطارد (أدهم) بمنتهى الإصرار بالفعل ، ولكن هذا الأخير كان يدور حول ناطحات السحاب ، ويحلِّق فوقها ، ويحاور ويناور ببراعة مدهشة ، جعلت الطيَّار يغمغم فى عصبية :

- براعتى .. فليأت هو ليشاهد براعة هذا الشيطان .

لم تكن عبارته قد اكتملت بعد ، عندما ظهرت طائرتا هليكوبتر أخريين ، وانقضتا بدوريهما على (أدهم) ..

ومن الطائرات الثلاث ، وفى آن واحد تقريبًا ، أطلق القناصة رصاصات بنادقهم القوية ..

وارتطمت رصاصتان بجسم الهليكوبتر ، فى حين أصابت الثالثة زجاجها الأمامى ..

وفى تكنيك بارع مدروس ، انطلقت واحدة من الطائرات الثلاث إلى يمين طائرة (أدهم) ، والثانية إلى يساره ، فى حين ارتفعت الثالثة فوقه ، بحيث يصبح محاصرًا ، ومضطرًّا للسير فى اتجاه واحد إلى الأمام ..

وإلى حيث تقوده الطائرات الثلاث ..

ولكن (أدهم) دفع عصا القيادة إلى الأمام ، وهو يقول :

- أسلوب بارع ، بالنسبة لطيارين مدنيين .

وانخفض بالهليكوبتر بغتة ، مستطردًا :

- ولكن هل يمكنكم مجاراة طيار حربى ؟!

أربك انخفاضه المباغت طيّارى الهليكوبتر الثلاثة ، فهتف أحدهم :

ماذا يفعل هذا المجنون ؟!

انخفضت طائرات الهليكوبتر الثلاث ، فى محاولة لمحاصرة هليكوبتر (أدهم) مرة أخرى ، وعاد القناصة يطلقون نحوها رصاصاتهم ..

ولكن (أدهم) واصل الانخفاض بسرعة مخيفة ، جعلت أحد قادة الهليكوبتر يهتف ، عبر جهاز اللاسلكى :

- إنه مجنون حتمًا .. لو واصل الانخفاض على هذا النحو ، سيرتطم بالشارع والمارة .

انعقد حاجبا (موريس) ، عندما سمع الهتاف ، وتراجع فى مقعده ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين هتف سائق سيارته فى انبهار :

- يا إلهى ! أى رجل هذا .

زمجر (موريس) وقال فى عصبية :

- اهتمّ بعملك يا هذا .

ثم اعتدل بحركة حادة ، والتقط مسماع اللاسلكى ، وقال فى صرامة :

ـ مهما حاول أو فعل ، لا تسمحوا له بالفرار أبدًا .

وألقى نظرة على ساعته ، مضيفًا :

ـ إنه سيفقد مقدرتـه على الطيران ، بعد أربع دقائق فحسب .

هتف قائد الهليكوبتر فى حنق :

ـ من السهل أن تقول هذا أيها الضابط ، ولكننى أتمنى أن أراك هنا معنا ، لنشاهد ما الذى يمكنك فعله .

هتف (موريس) فى غضب :

ـ نفذ الأوامر أيها الوغد .

قالها ، وهو يدرك أن قائد الهليكوبتر على حق ..

فمن السـهل أن تصـدر الأوامر ، ولكن من الصعب أن تكون أنت من ينفذها ..

ولـو أنـه انتقل إلى واحدة من طـائرات الهليكوبـتر ، لأشفق بـالفعل على طياريها ، فأمـام عيونهـم الذاهلـة ، انخفض (أدهم) بالهليكوبتر ، حتى ارتفاع عشـرة أمتـار

عن سـطح الأرض ، ثـم جـذب عصـا القيـادة ، واندفـع بـالهليكوبتر ، عبر شـوارع (نيويـورك) ، فـوق رءوس المارة وقمم السيارات ..

وكان مشهدًا لم يره سكان (نيويورك) قط ..

أو حتى يتصوَّروا رؤيته ..

أما قـادة الطـائرات الثـلاث الأخـرى ، فقـد اضطـروا للتحليق على ارتفاع مائة متر عن سـطح الأرض ، وهتـف أحدهم ، فى حنق بلا حدود :

ـ الموقف سلبى .. إنه مجنون حقيقى .. لا يمكننـا أن نجاريه فيما يفعله .. صدقونى .. هذا أمهر طيار هليكوبتر شاهدته ، منذ وعت عيناى الدنيا .

كظم (موريس) غيظه ، وقال فى صرامة :

ـ المهم ألا يغيب عن أعينكم .. حدِّدوا موقعه طوال الوقت فهو سيضطر للهبوط ، بعد ثلاث دقائق على الأكثر .

وأنهى الاتصال ، ثم تراجع بحركة ، هاتفًا :

ـ يا لها من ليلة ؟ ألن تنتهى أبدًا ؟!

وعلى الرغم منه ، ودون أن يدرى بالتحديد لماذا ، وجد تفكيره كله يتجه إلى (جاك) ، وعقله يتساءل : ترى أيهما على حق ، ومن منهما القاتل ، الذى ينبغى أن تطارده كل قوات الشرطة ؟!

من ؟!

* * *

« أنت يا (جاك) .. »

نطق رجل المخابرات الأمريكى (أورسون هول) الكلمة فى صرامة ، وعلى نحو امتقع معه وجه (جاك) ، الذى قال فى عصبية :

ـ ولماذا أنا ؟! لقد نفذت الأوامر بالحرف الواحد ، ولولا تدخُّل ذلك الأجنبى ، لتمّ كل شىء بنجاح ، ولانتهى الأمر فى دقائق معدودة .

قال (هول) فى صرامة غاضبة :

ـ ولكن كل شىء لم يتمّ بنجاح .. حتى الزعيم الإفريقى عجزت عن اغتياله .. الأخبار تقول : إنه سيتجاوز مرحلة الخطر ، بعد جراحة ناجحة .. وذلك الأجنبى يعرفك جيدًا .

هتف (جاك) :

ـ لا فائدة من هذا .. إنهم يعتبرونه القاتل الحقيقى الآن ، وكل قوات الشرطة تطارده فى إصرار .

صمت (هول) بضع لحظات ، وهو يتطلَّع عبر النافذة ، قبل أن يقول بنفس الصرامة :

ـ إنه أمر مؤقَّت يا (جاك) ، ولو أنه نجا من المطاردة ، ولجأ إلى أية صحيفة ، فسيتم تحليل الفيلم القصير ، الذى التقطوه له ، وهو يطارد سيارتكما الحمراء ، وسيكشفون الحقيقة .

ثم استدار إليه بحركة حادة ، مستطردًا :

ـ وسيعلمون أنك القاتل الحقيقى .

قال (جاك) فى عصبية :

ـ لن يفلتِ من قبضة الشرطة قط .

مطَّ (هول) شفتيه ، قائلاً :

ـ من يمكنه الجزم .

وضرب براحته كومة من التقارير أمامه ، مستطردًا فى غضب :

ـ لو أنك راجعت كل المشاهدات هنا ، لأدركت أن ذلك الأجنبى ليس رجلاً عاديًا .. ما من رجل عادى ، يقاتل على هذا النحو .. إنه لم يتجاوز الثلاثين من عمره .. بل وربما كان فى منتصف العشرينات ، ولكنه يقاتل على نحو يوحى بخبرات واسعة طويلة .

ثم شدّ قامته ، مضيفًا فى عصبية :

ـ إنه شخص غير عادى .

قال (جاك) ، متوترًا :

ـ إنه متهم بمحاولة اغتيال سياسى ، وسيواصلون مطاردته ، حتى آخر رمق .

رمقه (هول) بنظرة صارمة ، وهو يتساءل :

ـ وماذا لو أفلت منهم ؟!

لوَّح (جاك) بذراعه ، قائلاً فى حدة :

ـ احتمال ضئيل .

قال (هول) فى صرامة :

ـ ولكنه احتمال وارد .

ثم عاد يلتفت إلى النافذة ، متابعًا فى غضب :

ـ وأنت تناسيت كل قواعد الأمن والسرية ، ورحت تعلن هويتك للجميع بلا حساب .

قال (جاك) فى توتر شديد :

ـ الظروف كانت تحتم ..

استدار إليه (هول) فى حدة ، صائحًا :

ـ أيةَ ظروف ؟!

امتقع وجه (جاك) مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ لو لم أفعل هذا ؛ لألقوا القبض علىَّ أنا ، ولـ...

قاطعه (هول) فى غضب :

ـ ولما وجدوا دليلاً واحدًا يكفى لإدانتك ، ولانتهى كل شىء بسلام .

ازدرد (جاك) لعابه ، وهو يسأل فى حذر :

ـ مستر (هول) .. ما الذى تريد قوله بالضبط ؟!

تقطَّب جبين (هول) بغضب هادر ، وهو يجيب :

ـ ما أريد أن أقوله هو أنه هنـاك نقطة ضعف خطـيرة الآن فى العملية كلها ..

وبدا وجهه مخيفًا ، وهو يضيف :

ـ أنت يا (جاك) ..

شـعر (جـاك) بغصـة فى حلقـه ، منعتـه من التعليـق لبضع ثوان ، قبل أن يسعل ، قائلاً بكل توتر الدنيا :

ـ مستر (هـول) .. أنت تعلم أننى من أكثر المخلصيـن لـك ، فى الشركة كلها (*) ، ولـم أتـردَّد يومًـا فـى تنفيـذ أوامرك ، ومنذ عملت تحت إمرتك ، وأنا مبهور بعبقريتك ، وأدرك أنـك تستحق عن جدارة لقب (الثعـلـب) ، الـذى يلقبونك بـه .. وأنـا أعلم منـذ البدايـة أنـك لـم تتلق أوامـر رسمية من الإدارة ، بتنفيذ عمليـة الاغتيـال هـذه ، وأنـهـا مبادرة شـخصية منـك ، وعلـى الرغم مـن هـذا فقد قمـت بالتنفيذ ، دون مجادلة أو مناقشة ، وكل ما فعلته كان من أجلك .. من أجلك وحدك .

انعقد حاجبا (هول) بشدة ، وهو يقول فى بطء :

(*) يطلق رجال المخابرات المركزية الأمريكية على أنفسهم اسم (الشركة) ..

ـ من الواضح أنك تعلم الكثير .

هتف (جاك) :

ـ فقط ما ينبغى أن أعرفه يا مستر (هول) .

قـال (هـول) ، فـى بطء أكثر ، وقـد ارتسـمت علـى شفتيه ابتسامة باردة :

ـ بالطبع يا (جاك) .. بالطبع .

ثم اتسعت ابتسامته ، وهو يضيف بلهجة ، لا تبعث قط على الارتياح :

ولكننا نستطيع معالجة الأمر بالتأكيد .

اتسعت عينا (جاك) ، وشحب وجهـه ، وارتفعت يـده بحركـة غريزيـة نحـو مسدسـه المعلّق تحت أبطـه ، وهـو يقول :

ـ بأية وسيلة يا مستر (هول) .

لم يبد أدنى اهتمام على وجه (هول) ، وهو يقول :

ـ لا تقلق يا (جاك) .. كل شىء سيسير على ما يرام .

والتقط سماعة الهاتف ، وضغط زرًا واحدًا ، ثم قال فى هدوء عجيب :

- (رامون) .. تعال إلى مكتبى فورًا .

لم تمض نصف دقيقة ، حتى دلف رجل طويل نحيل إلى المكان ، وتطلع إلى (هول) فى اهتمام شديد ، فقال هذا الأخير ، وهو يشير إلى (جاك) :

- (رامون) .. زميلنا (جاك) يواجه مشكلة مع رجال الشرطة ، ولا بد أن يختفى فى الوقت الحالى .. اصطحبه إلى منزل الجبل ، وتأكد من أنه يتمتع بكل وسائل الراحة ، وأرسل إليه كل ما يطلبه ، ومن يطلبه ، حتى تنزاح هذه الغمة ، ويعود إلينا سالمًا .

قال (رامون) ببرود متناه :

- بالتأكيد .

شحب وجه (جاك) أكثر ، وراح ينقل بصره بينهما فى عصبية ، قبل أن يمسك مقبض مسدسه ، قائلاً :

- لو ذهبت ، فلن أذهب وحدى .

بدا (هول) هادئًا على نحو عجيب ، وهو يقول :

- اطمئن يا (جاك) .. أنت تلميذى .. والأستاذ لا يتخلى عن تلميذه أبدًا .

ثم اتجه إليه ، وربّت على كتفه فى مودة ، مضيفًا بابتسامة هادئة :

- اطمئن .

توترت أصابع (جاك) بضع لحظات ، على مقبض مسدسه ، ثم لم تلبث أن تراخت فى بطء ، وهو يتمتم :

- فليكن أيها الثعلب .. فليكن .

واتجه نحو (رامون) قائلاً :

- هيا بنا .

أفسح له (رامون) الطريق ، وما إن غادر الحجرة ، حتى تطلع هو بعينيه الحادتين إلى (هول) ، الذى أومأ برأسه فى بطء دون أن تشفّ ملامحه عن أية انفعالات أو تعبيرات ، فاعتدل (رامون) ، دون أن تبدو عليه بدوره أية انفعالات ، وغادر المكان فى برود صامت ..

وهنا .. هنا فقط ، ارتسمت على شفتى (هول) ابتسامة ..

ابتسامة ثعلب ..

وحشى ..

* * *

مؤشرات الوقود انخفضت إلى أقصى حد ..

والهليكوبتر مازالت تنطلق ، عبر شوارع (نيويورك) ، على ارتفاع عشرة أمتار فحسب ..

وطائرات الهليكوبتر الثلاث مازالت تطارده بكل إصرار ..

لا مفرّ من الهبوط فى مكان ما ..

ولكن أين ؟!

لو جازف بالهبوط فى الشارع ، سيحاصره رجال الشرطة على الفور ..

والوقود لن يكفى للخروج من المدينة ..

وهو يتناقص فى سرعة ..

ويتناقص ..

ويتناقص ..

ومن الواضح أن الكل يعلم هذا ، فقد انخفضت طائرات الهليكوبتر الثلاث ؛ لتحكم حصارها له ، فى حين تتحرك قوات الشرطة ، والطوارئ ، ومكافحة الإرهاب ، فى كل الشوارع والطرقات ..

لقد أحكموا حصارهم حقًا هذه المرة ..

وبعد ثلاثين ثانية فحسب ، سيضطر للهبوط ..

وسينتهى كل شىء ..

لابد أن يجد وسيلة للفكاك من الحصار ..

أية وسيلة ؟!

ولكن كيف ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

هذا هو السؤال ..

وإما أن يجد له جوابًا ، خلال ثوان معدودة ، أو يعنى أن محاولته على الرغم من كل ما بذله فيها ، قد فشلت ..

فشلت تمامًا ..

وبلا رجعة .

* * *

٦ - نيويورك ..

حدَّق (توفيق) فى زميله الدكتور (أحمد) بدهشة مستنكرة غاضبة ، قبل أن يلوِّح بذراعيه ، هاتفًا فى حدة :

- ما الذى تفعله باللّه عليك ؟!

أجابه (أحمد) فى هدوء ، لا يخلو من الحزم :

أستعد للنوم .. سأشارك غدًا صباحًا فى عملية جراحية معقَّدة ، ولابد أن أكون بكامل لياقتى عندئذ .

هتف (توفيق) :

- هل جننت أم فقدت صوابك يا رجل .. ألم تتابع معى ما يفعله شقيقك المجنون ، فى (نيويورك) .. لقد أوقفت كل المحطات برامجها التقليدية ، ولم يعد لها من حديث سواه .. هل تتصورَّ أنه سينجو بأفعاله هذه .

أجابه (أحمد) فى حزم ، وهو يدس نفسه فى فراشه :

- هذا شأنه .

كاد (توفيق) يصاب بصدمة ، من تلك الردود الحازمة ، فصاح فى حنق :

- فيم كان قلقك الشديد إذن ، منذ بضع ساعات .

أجابه (أحمد) ، وهو يجذب الغطاء فوقه :

- كنت أجهل أين هو .

صاح (توفيق) :

- والآن تعلم ؟! هل تشعر بالارتياح ، لمجرّد أنك تعلم أين هو ، بغض النظر عما يواجهه .

اعتدل (أحمد) ، ليسأله فى حدة :

- وماذا بيدى لأفعله ؟!

حدّق (توفيق) فيه بضع لحظات ، قبل أن يلوّح بذراعيه مرة أخرى ، قائلاً :

- أى شىء .

سأله (أحمد) فى حدة أكثر :

- مثل ماذا ؟!

بدت الحيرة على وجه (توفيق) بضع لحظات أخرى ، قبل أن يجيب فى خفوت ، وقد ذهبت حدته أو كادت :

- تعاطف معه على الأقل .

قال (أحمد) ، وصوته يحمل ارتجافة انفعال ، حاول أن يكتمه فى أعماقه طويلاً :

- وهل يحتم هذا أن أهمل عملى وحياتى وواجبى ؟!

غمغم (توفيق) فى ارتباك :

- لست أدرى ، ولكننا اعتدنا أن ...

قاطعه (أحمد) فى حزم :

- خطأ .. أكبر خطأ .. تعاطفاتنا المبالغة ، التى اعتدناها كجزء من تكويننا الشرقى ، هى أحد أسباب تراجعنا عن نهج التقدُّم التكنولوجى والتقنى ..

ثم تضاعف الحزم ، فى ملامحه وصوته ، وهو يضيف :

- اسمعنى جيدًا يا (توفيق) .. والدى رحمه الله كان مثالاً للرجل الحق .. الرجل القوى المخلص ، الذى لا يلهيه

شىء فى الوجود عن القيام بواجباته ، ولقد علمنا ، شقيقى وأنا ، درسًا ، لا يمكن أن ننساه أبدًا ، وهو ألا نسمح للعواطف والأحزان بأن تحتلَّ أكثر من جزء محدود من مشاعرنا وحياتنا ، مهما بلغت ، ومهما اشتدَّت .. أما الباقى ، فهو للعمل ، والواجب ، والمستقبل .. وشقيقى (أدهم) ، الذى يثير جنون (نيويورك) كلها الآن ، استوعب الدرس منذ زمن طويل ، وكنت أحسده دومًا على صلابته ، وقوة إرادته .. واليوم ، حان الوقت لكى أستوعب الدرس بدورى ، ولن أضيع هذه الفرصة أبدًا .

تخاذل صوت (توفيق) كثيرًا ، وهو يغمغم :

ـ وماذا عن شقيقك ؟!

قال (أحمد) فى سرعة :

ـ (أدهم) وعد بأن يحضر حفل حصولى على تلك الشهادة .

ثم عاد يرقد فى الفراش ، ويجذب الغطاء فوقه ، مضيفًا بكل الحزم :

ـ وهو لا يحنث بوعوده قط .

قالها ، وأسبل جفنيه ، تاركًا خلفه زميله الدكتور (توفيق) ، وهو يحدِّق فيه بدهشة ..

أو أقل بذهول ..

* * *

فجأة ، جذب (أدهم) عصا القيادة ، وارتفع بالهليكوبتر ، على نحو مباغت ، أربك قادة الطائرات الأخرى ، فهتف أحدهم فى دهشة بالغة :

ـ ماذا يفعل هذه المرة ؟! إنه لا يملك وقودًا يكفى للابتعاد عن هنا .

أتاه صوت الضابط (موريس) ، حادًّا صارمًا ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى ، وهو يهتف :

ـ لاحقوه فورًا .. أسرعوا .

كانت هليكوبتر (أدهم) ترتفع بسرعة مدهشة ، نحو سطح بناية متوسطة الارتفاع ، فانطلقت طائرات الهليكوبتر الثلاث الأخرى ، نحو البناية نفسها ، وقال قائد إحداها ، وهو يتطلَّع إلى هليكوبتر (أدهم) فى حذر :

- إنها تحلق الآن فى موضع الثبات (*) ، على ارتفاع ستة أمتار من السطح .. يبدو أنه يحاول الهبوط بها هناك .

هتف (موريس) :

- إنها فرصتكم إذن .. حاصروه على الفور .. وليطلق القنّاصة رصاصاتهم نحو مروحة الذيل .. إتلافها لن يتيح له فرصة تحليق جديدة ..

قال قائد الهليكوبتر فى توتر :

- ليس لديه حتى الوقت لهذا .. سينتهى وقود طائرته بعد ثانيتين ، و ...

قبل حتى أن يتمّ عبارته ، أصدرت مروحة هليكوبتر (أدهم) فرقعة مباغتة ، ثم انخفضت سرعتها فجأة ، فاختلّ توازن الهليكوبتر بشدة ، وهتف قائد الهليكوبتر الأخرى :

- رباه .. إنه يسقط بالفعل .

(*) طائرات الهليكوبتر وحدها لديها القدرة ، على التحليق فى الهواء ، فى وضع ثابت ، بحيث تكتفى مراوحها بتعليقها فى موضعها فحسب ، دون الانطلاق فى أى اتجاه .

فى منتصف عبارته تقريبًا ، سقطت هليكوبتر (أدهم) ، وارتطمت بسطح المبنى ، ثم تحطّمت مروحتها فى عنف ، وانقلبت على جانبها فى قوة ..

ولثوان ، لم ينبس قادة طائرات الهليكوبتر الثلاث الأخرى بحرف واحد ، حتى قطع (موريس) هذا الصمت ، وهو يهتف ، عبر جهاز اللاسلكى :

- ماذا تنتظرون ؟!

مع هتافه ، اقتربت الطائرات الثلاث من السطح ، وانخفضت إلى ارتفاع ثلاثة أمتار ، ليقفز قناصتها الثلاثة إلى السطح ، ويندفعوا ببنادقهم نحو حطام الهليكوبتر ، فى حين تعالى صوت (موريس) ، وهو يهتف ، عبر جهاز الاتصال :

- أهو حى ؟! أما زال على قيد الحياة .

أجابه قائد إحدى الطائرات فى توتر ملحوظ :

- الطائرة سقطت من ارتفاع ضئيل ، ولو أنه مازال داخلها ، فلست أظنه قد لقى مصرعه .

صاح به (موريس) فى حدة :

- ماذا تعنى بكلمة (لو) هذه ؟!

لم يجب قائد الهليكوبتر على الفور ، وإنما انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلع إلى أحد القناصة ، الذى راح يلوِّح بذارعيه فى عصبية ، من فوق السطح ، ثم لم يلبث قائد الهليكوبتر أن هتف ، عبر جهاز الاتصال ، فى عصبية شديدة :

- هذا ما كنت أخشاه .. إنه ليس داخل الهليكوبتر .. الرجال لم يجدوا بها سوى قائدها ، والقناص الخاص بها فاقدى الوعى ، مع بعض الإصابات الطفيفة ، أما ذلك الشيطان ، فقد اختفى تمامًا .

هتف (موريس) :

- مستحيل !

تابع الطيَّار ، وكأنه لم يسمعه :

- لقد فعلها .. أشعل جهاز القيادة الآلية ، لتثبيت الهليكوبتر فوق السطح ، ثم وثب منها ، قبل أن نبلغه .. أراهن على أنه قد غادر المبنى كله الآن ، ونحن منشغلون بالبحث عنه وسط الحطام .

صرخ (موريس) :

- مستحيل ! مستحيل ! لن يفعلها ثانية .. مستحيل !

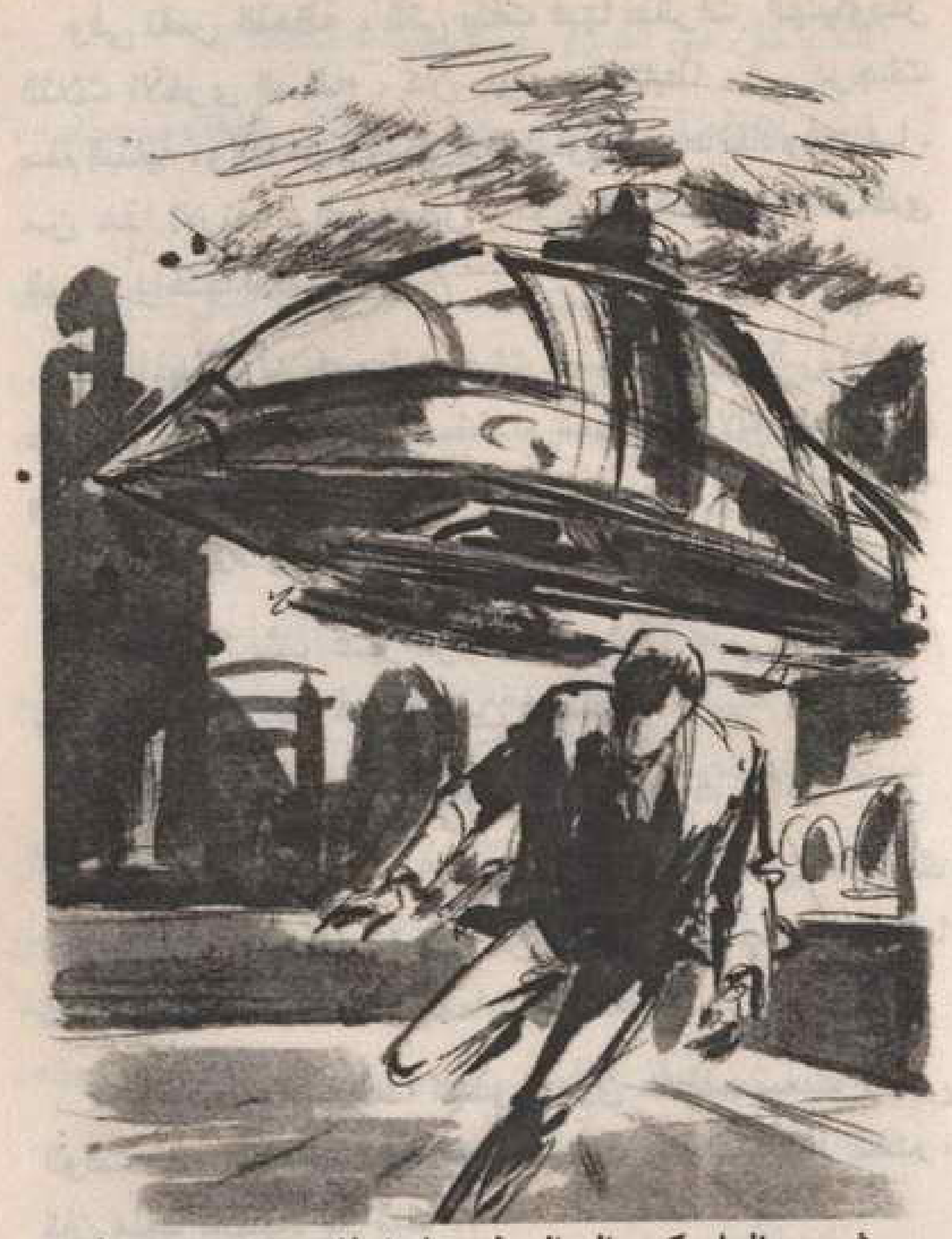
وبكل غضبه وثورته ، أدار مؤشر موجات اللاسلكى ، وهتف :

- إلى كل رجل شرطة ، فى المربع (١٧٧ - سى) .. حاصروا المنطقة كلها .. كل الطرق المؤدية إليها .. كل وسائل المواصلات العامة كل مقهى ومتجر ، وحتى المنازل المشبوهة .. افحصوا أوراق كل شخص بلا استثناء .. وألقوا القبض على كل من يشتبه بأمره ..

المشتبه فيها شاب ، فى منتصف العشرينات من العمر ، يرتدى حلة زرقاء ، ورباط عنق نبيتى اللون ، به خطوط سوداء ، أسود الشعر ، أسود العينين ، وسيم الملامح ، قوى البنية .. أكرِّر لا استثناءات .

ثم أدار المؤشر مرة أخرى ، هاتفًا :

- من الضابط (موريس) إلى قوات الطوارئ ومكافحة الإرهاب .. أريد فرقة خاصة فورًا ، لمحاصرة المبنى رقم (...) ، فى شارع (...) ، وتفتيش كل شبر منه ..



ووثب من الهليوكبتر إلى السطح ، ثم انطلق يعدو نحو مدخله كالصاروخ

أنهى اتصالاته ، وأشار إلى سائقه ، قائلاً فى صرامة عصبية :

- انطلق بنا إلى هناك .

وتراجع فى مقعده ، مستطردًا فى حنق :

- دعنا نر كيف ستخرج من الحصار هذه المرة ، أيها الشيطان الأجنبى .

قالها ، وهو يشعر أن المرحلة القادمة ستحسم الأمر حتمًا..

من وجهة نظره على الأقل ..

* * *

عندما ارتفع (أدهم) بالهليكوبتر ، بتلك السرعة المخيفة ، كان قد وضع قواعد خطته بالفعل ، وقرَّر تنفيذها بأقصى سرعة ، ليدخر كل ثانية ..

ولقد بلغ السطح الذى اختاره ، خلال اثنتى عشرة ثانية فحسب ، وما أن أصبح على ارتفاع ستة أمتار منه ، حتى وضع القيادة الآلية موضع التشغيل ، ووثب من الهليكوبتر إلى السطح ، ثم انطلق يعدو نحو مدخله كالصاروخ ..

وفى نفس اللحظة ، التى بلغت فيها طائرات الهليكوبتر الثلاث الأخرى السطح ، كان هو يعدو هابطًا ، فى درجات سلم البناية ، واثقًا من أن سقوط الهليكوبتر ، بعد نفاد وقودها ، من هذا الارتفاع المنخفض ، لن يقتل الرجلين فاقدى الوعى داخلها حتمًا ..

كان يدرك أن هبوط درجات السلم يحتاج إلى وقت طويل ، إلا أنه لم يحاول استخدامِ المصعد ؛ لأنه تعلم من والده أن المصاعد ، عندما تتعقد الأمور ، تصبح أشبه بتوابيت مغلقة ، يسهل تعطلُها ، واصطياد من بداخلها ..

ولكنه كان يثب عبر درجات السلم ، على نحو جعله يقطع المسافة كلها فى دقيقتين فحسب ..

وبعدها وجد نفسه فى شوارع (نيويورك) ..

كان وجهه وثيابه ، التى تمزَّقت أجزاء منها ، وذلك الجرح ، الذى يخفيه بخصلة من الشعر على جبهته ، كلها تشفّ عما عاناه ، خلال الساعات الماضية ..

ثم إن سيره على هذا النحو ، دون معطف سميك ، فى الوقت الذى انخفضت فيه درجات الحرارة إلى هذا الحد ، كان ملفتًا للانتباه بلا شك ..

لذا ، كان من الضرورى أن يبتاع معطفًا ..

ليس لاتقاء البرد القارس فحسب ، ولكن لإخفاء ما أصابه ، وما يشفّ عن هويته أيضًا ..

وفى هدوء ، لا يمكن أن يتميَّز به ، فى مثل هذه الظروف ، سوى شخص مثله ، رفع ياقتى سترته ، ليقى عنقه وأذنيه البرد القارس ، ودسّ كفيه فى جيبى السترة ، وهو يتجه نحو أقرب متجر ، و ...

« أنت .. انتظر .. »

ارتفع الهتاف الصارم من خلفه ، فتوقَّف لحظة ، ثم استدار إلى مصدره فى هدوء ..

وعلى مسافة ثلاثة أمتار منه ، رأى اثنين من رجال الشرطة ، راكبى الدراجات الآلية ، وقد ظلّ أحدهما على متن دراجته ، ويده على مسدسه ، الذى مازال معلقًا بحزامه ، فى تحفز واضح ، فى حين غادر الثانى دراجته ، واتجه إليه ، مكملاً بنفس الصرامة :

- أوراقك .

سأله (أدهم) فى هدوء عجيب ، لا يتفق مع دقّة الموقف :

ـ لماذا ؟!

أجابه الشرطى ، فى صرامة أكثر :

ـ طوارئ عامة .. إننا نفحص أوراق الكل بلا استثناء .

ثم وضع يده اليمنى على مقبض مسدسه بدوره ، وهو يمدّ يسراه إلى (أدهم) ، قائلاً بصرامة أكثر :

ـ أوراقك من فضلك .

رفع (أدهم) يده إلى جيب سترته ، قائلاً :

ـ لا بأس .

هتف الشرطى ، وهو يسحب مسدسه ، ويتراجع فى حركة حادة :

ـ توقّف .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وأبعد يده عن جيب سترته ، وهو يقول :

ـ عجبًا ! وكيف يمكننى أن أمنحك أوراقى ، دون أن أخرجها من جيب سترتى ؟!

زمجر الشرطى الآخر ، وقال ، وهو يمسك مقبض مسدسه بالفعل :

ـ أخرجها فى بطء ، واستخدم سبّابتك وإبهامك فحسب ، ودعنا نر أصابعك الثلاثة الأخرى مفرودة ، و ...

قاطعه (أدهم) فى هدوء ساخر :

ـ ولماذا كل هذا ؟! لدى حل أكثر بساطة .

سأله الشرطى الأوّل فى حذر :

ـ وما هو ؟!

وثب (أدهم) فجأة ، ودار حول نفسه ، وهو يركل الشرطى القريب منه فى وجهه ، هاتفًا :

ـ هذا .

كانت المفاجأة عنيفة بالفعل ، تمامًا كالركلة ، التى أطاحت بالشرطى لمترين كاملين ، قبل أن يسقط وسط الطريق ، المزدحم بالسيارات ، فانطلقت عشرات الأبواق ،

كرد فعل تلقائى ، فى حين هتف الشرطى الآخر ، وهو ينتزع مسدسه فى ذعر :

ـ أيها الـ ...

قبل أن يتمّ هتافه ، وثب (أدهم) نحوه كالفهد ، وأمسك معصمه بأصابع من فولاذ ، ثم كال له لكمة كالقنبلة ، أطاحت به فوق دراجته فى عنف ..

ومن بعيد ، لمح شرطى آخر ما حدث ، فصاح فى حدة ، وهو ينتزع مسدسه :

ـ قف .

ولكن (أدهم) وثب إلى دراجة الشرطى الآلية ، التى مازال محركها دائرًا ، وانطلق بها على الفور ..

كانت الدراجة الآلية تبدو وسيلة مثالية ، للانطلاق وسط كل هذا الزحام ، ولكن رجال الشرطة أيضًا كانوا يمتلكون دراجات آلية ..

العشرات منها ..

وعبر أجهزة الاتصال اللاسلكى ، أدرك كل رجل شرطة فى المنطقة ما حدث .. وبالذات الضابط الفيدرالى (موريس) ، الذى هتف فى حدة :

ـ ياللعار ! ماذا أصابكم يا شرطة (نيويورك) ؟! أتعجزون عن الإيقاع برجل واحد ؟!

أتاه هتاف منفعل ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى :

ـ أنتم عجزتم عن الحفاظ عليه قبلنا ، على الرغم من أنه كان فى قبضتكم بالفعل ، ونحن نطارده كلنا الآن وسنحكم الحصار حوله .. إننا نجبره على الاتجاه إلى نفق (نيو جيرسى) ، وهناك سيجد فرقة منا فى انتظاره .

هتف (موريس) فى حنق :

ـ لا تذكر هذا عبر جهاز الاتصال اللاسلكى أيها الغبى .. إنه يمتلك واحدًا ، فى دراجة الشرطة التى استولى عليها .. ألا تدرك هذا ؟!

هتف الرجل ، فى ثقة صارمة :

ـ أدركه ، ولكننا لا نترك له الخيار .

كان الرجل محقًّا ، إلى درجة كبيرة بالفعل ..

فعلى الرغم من مهارة (أدهم) المدهشة ، فى قيادة الدراجات الآلية ، والتى أدهشت رجال الشرطة أنفسهم ،

على الرغم من التدريبات المكثفة ، التى يتلقونها ، فى هذا المضمار ، فى (نيويورك) بالذات ، باعتبارها الوسيلة المثلى للحركة ، وسط الشوارع المكتظة بالسيارات ، إلا أن الرجال كانوا يؤدون أدوارهم بمهارة حقيقية ، بحيث لم يعد أمامه سوى اتخاذ الطرق المباشرة ، التى تقود إلى نفق (نيو جيرسى) ..

كانوا يحاصرونه فى كل اتجاه ، ويسدون أمامه كل الطرق الفرعية ، وحتى المداخل الجانبية الصغيرة ، على نحو يوحى بأنهم مصرون على الإيقاع به هذه المرة ..

مهما كان الثمن ..

ولقد أدرك (أدهم) هذا ، وهو ينطلق بدراجة الشرطة البخارية ، وسط شوارع (نيويورك) ..

أدركه ، وراح عقله يبحث عن مخرج من هذا الحصار الجديد بالفعل ..

زحام الطرق كان يسمح له بالتحرك المباشر ، ولكنه يمنعه أيضًا من القيام بأية مناورات حادة أو مباغتة ، لتغيير دفة المطاردة ..

وهذا يضعه فى مأزق كبير ..

ولو أنه واصل الانطلاق ، إلى حيث يقودونه ، فسيضعه هذا فى مأزق أكبر ..

وسيوقعه فى مصيدة ، لا فكاك منها ..

وكان عليه أن يجد الحل ، قبل أن تفوت الفرصة ..

أى حل ..

* * *

بدت عينا (هول) الباردتان أشبه بعينى ثعلب حقيقى ، وهو يتابع التقارير الأخيرة ، على شاشة جهاز اتصال خاص ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يغمغم ، فى خفوت شديد :

ـ ليس هناك ذرة من الشك .. إنه شخص غير عادى ، ومن المستحيل أن يكون تدخُّله محض صدفة .

صمت بضع لحظات أخرى ، قبل أن يضغط زرًا صغيرًا إلى جواره ، ثم يعتدل على مقعده فى حزم ..

وفى هدوء ، دلف إلى مكتبه شاب مفتول العضلات ، قوى البنية ، مشدود القامة ، وقف صامتًا ، فى انتظار أوامر رئيسه الذى قال فى صرامة :

- رجال الشرطة لن يظفروا به يا (ريكى) .. إنهم يتصورون أنه فريسة سهلة ، ولكننى واثق من أنه سيتجاوز حصارهم التقليدى هذا .. ذلك الشاب يتمتع بقدرات غير عادية ، ولقد اكتسب مهارات مدهشة ، لست أظن جهة قادرة على تلقينه إياها ، بخلاف المخابرات السوفيتية (*) .

قال (ريكى) ، فى بطء حذر :

- جواز سفره يقول إنه ضابط مصرى .

لوَّح (هول) بذراعه ، قائلاً :

- هراء .

قال (ريكى) ، فى حذر أكثر :

(*) فى ذلك الحين ، لم يكن الاتحاد السوفيتى قد انهار بعد ، وكانت المخابرات السوفيتية (كى . جى . بى) ، فى أوج قوتها .

- المصريون تغيروا كثيرًا ، وفى حربهم الأخيرة ، أثبتوا أنهم أقوياء أكثر مما نتصوَّر .

قال (هول) فى صرامة :

- السوفيت وحدهم قادرون على إنتاج مقاتل كهذا ؛ فهم وحدهم أنشئوا ملاجئ للأيتام ، تدار بإشراف كامل من الـ (كى . جى . بى) ، ومنها يمكن إنتاج مقاتل ، يجيد مهارات بلا حدود ، فى سن مبكرة كهذه(*) .

ومال إلى الأمام ، مضيفًا فى حزم :

- ولكننا لسنا بصدد تحديد هويته الآن .

شدَّ (ريكى) قامته أكثر ، وهو يقول :

- أوامرك يا مستر (هول) .

التقط (أورسون هول) نفسًا عميقًا ، وهو يتراجع فى مقعده فى بطء ، ثم أشار بيده ، قائلاً :

- الشرطة لن توقع به .. إنهم غير مؤهلين للتعامل مع أمثاله ، أما نحن ، فلدينا القدرة على هذا .

(*) حقيقة .

تألَّقت عينا (ريكى) ، وهو يقول فى حذر :

ـ فريق (دلتا) .

أومأ (هول) برأسه إيجابًا ، وأشار بيده مرة أخرى ، قائلاً :

ـ بالضبط !

ثم عاد يتراجع فى مقعده ، قائلاً بلهجة صارمة آمرة :

ـ انتق خمسة من أفضل الرجال ، فى فريق (دلتا) .. وليكونوا من العناصر الموالية لنا ، وامنحهم كل ما يريدون ، وكل الإمكانيات المتاحة ، وأرسلهم خلف ذلك الشيطان .. أخبرهم أننى أريده بأسرع ما يمكن ، وبأى ثمن .

سأله (ريكى) فى اهتمام :

ـ حيًا أم ميتًا ؟!

صمت (هول) لحظة ، ثم أجاب فى حزم :

ـ لو استطاعوا الإمساك به حيًا فليكن ، أما لو وجدوا صعوبة فى هذا ، فليقتلوه بلا رحمة .

تألَّقت عينا (ريكى) ، فى استمتاع دموى حقيقى ، وقال فى بطء .

ـ أوامرك يا مستر (هول) .

وغادر الحجرة فى هدوء ، وأغلق بابها خلفه ، وقد اتخذ قرارًا بإغفال الجزء الأوَّل من أوامر رئيسه ..

فبالنسبة لرجال فريق (دلتا) ، ستكون الأوامر محدودة للغاية ..

حتمية الظفر بـ (أدهم) ..

ميتًا ..

* * *

من المؤكد أن والد (أدهم) الراحل ، كان على حق تمامًا ، عندما درَّبه على حفظ خرائط الطرق والمواصلات ، فى كل بقعة يسافر إليها ..

فبينما كان (أدهم) ينطلق بالدراجة الآلية ، وسط شوارع (نيويورك) المزدحمة ، محاصرًا برجال الشرطة ، من راكبى الدراجات الآلية ، والذين يدفعونه دفعًا نحو نفق (نيو جيرسى) ، بحيث لا يصبح أمامه مفرّ ، سوى الوقوع فى قبضتهم ، راح عقله يستعيد خريطة الطرق ، التى يحفظها عن ظهر قلب ..

كان يعلم أن ذلك النفق ، الذى يمرّ أسفل النهر ، هو السبيل الوحيد ، للربط بين (نيويورك) و (نيو جيرسى) ، وأنه بمجرَّد وصوله إليه ، يصبح فى قبضة شرطة الولايتين ، بلا أدنى أمل فى النجاة ..

ثم إن السرعة التى ينطلق بها ، على متن تلك الدراجة الآلية ، وفى هذا الطقس البارد ، وبدون معطف واق ، كانت تبعث الألم فى أطرافه ، التى تكاد تتجمَّد على نحو يصعب معه أن يقحم نفسه فى قتال مباشر ، مع جيش من رجال الشرطة .. لا سبيل إذن إلا بتجنب المواجهة ..

وبأية وسيلة ..

عاد عقله يراجع الخرائط مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ولكن لم يكن هناك سبيل آخر ..

ومن بعيد ، لاح مدخل النفق ، وقوات الشرطة المتربصة به ..

ومن خلفه ، زاد رجال الشرطة من سرعة دراجاتهم الآلية ، ولم يعد هناك مفر .. وراجع (أدهم) فى ذهنه خريطة المنطقة ، للمرة الرابعة ..

وما من جديد ..

الشىء الوحيد ، الذى يعبر النهر ، فى تلك البقعة ، هو النفق ..

ولكن مهلاً ..

النفق يعبر أسفل النهر ..

ما إن قفزت الفكرة الجنونية إلى رأسه ، حتى انحرف بالدراجة فجأة ، وقطع الطريق أمام سيارة مسرعة ، ضغط قائدها فراملها فى ذعر ، وهو يطلق سبابًا ساخطًا ، ودارت سيارته حول نفسها ، فارتطمت بمؤخرتها سيارة ثانية ، ثم ارتطمت ثالثة بالثانية ، ورابعة بالثالثة ، وارتطمت بالكل دراجة آلية ، من دراجات الشرطة ، فطار الشرطى منها ، مع عنف الارتطام المباغت ، وسقط بين السيارات ..

وارتفعت عشرات من آلات التنبيه الغاضبة المستنكرة ..

وهتف أحد رجال الشرطة ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى :

- إنه يحاول الفرار .

صاح به زميله ، وهو ينحرف بسيارته فى عنف ، ليتفادى سلسلة الاصطدامات :

- ليس أمامه سبيل للفرار .. ليس هناك سوى النهر ، و ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى شدة ، عندما فوجئ بـ (أدهم) ينطلق نحو حاجز النهر ، بأقصى سرعته ..

ثم يرتطم بالحاجز ..

ويحطمه ..

ويطير بدراجته الآلية لثلاثة أمتار كاملة ، فوق مجرى النهر ، قبل أن يهوى كلاهما فى النهر ..

الدراجة الآلية ..

والرجل ..

ولثوان ، تجمَّد رجال الشرطة فى أماكنهم ، بكل ذهول الدنيا ، ثم لم يلبث أحدهم أن انتزع نفسه من ذهوله ، وانطلق نحو النهر ، ليلقى نظرة على سطحه ، وسط الليل ، والأضواء المتألقة من بعيد ..

ولكنه ، وعلى الرغم من قوة إبصاره ، لم يجد أثرًا للدرَّاجة أو راكبها ..

لم يجد أدنى أثر .

* * *

٧ـ النهر ..

كاد كيان الضابط (موريس) يشتعل ، من فرط الغضب والانفعال ، وهويتطلع إلى الدراجة البخارية ، التى تم انتشالها ، من أعماق النهر ، فى حين قال رجل الضفادع البشرية ، الذى يرأس عملية البحث الليلية :

ـ لا أثر له فى أى مكان .. لقد فحصنا قاع النهر كله ، بكشافات يدوية قوية ، ولم نجد له أدنى أثر ..

عضَّ (موريس) شفتيه ، مغمغمًا فى حنق :

ـ لقد نجح فى الفرار .

هتف رجل شرطة مستنكرًا :

ـ بعد أن سقط فى النهر ؟! مستحيل يا سيِّدى ! لو أننى فى موضعه ، لتجمَّدت أطرافى بردًا ، ولغصت فى القاع كالحجر .

قال (موريس) فى صرامة عصبية :

ـ هذا لو أنك فى موضعه .

بهت الشرطى للجواب ، وتساءل فى توتر :

ـ ماذا تعنى يا سيِّدى ؟!

تجاهله (موريس) تمامًا ، وهو يقول لقائد الشرطة :

ـ أريد فحصًا شاملاً لجانبى النهر .. فلنتعاون مع شرطة (نيو جيرسى) على هذا الأمر .. إنها جريمة فيدرالية [*] ، وسيعمل الكل فيها .. انشروا رجالكم على الجانبين ، وألقوا القبض على أى مشتبه فيه .. أريد أن يتمّ توزيع نشرة بأوصاف ذلك الشاب ، على كل الولايات المحيطة .

ثم التفت إلى الضفدع البشرى ، يسأله فى اهتمام :

ـ ألا يحتمل أن يكون التيار قد جرف جثته بعيدًا ؟!

قال الرجل مستنكرًا :

(*) فى الولايات المتحدة الأمريكية ، تضع كل ولاية قوانينها الخاصة ، كما أن بعض الجرائم لا تتم المحاسبة عليها ، إلا فى الولاية التى تمت فيها ، أما بالنسبة للجرائم الفيدرالية ، كالقتل والاغتصاب ، والاختطاف ، والعمليات الإرهابية ، فهى تخضع للقانون العام ، لكل الولايات المتحدة الأمريكية ، والشرطة الفيدرالية لها حق العمل ، فى أية ولاية ، على عكس الشرطة المحلية ، التى تنتهى سلطاتها ، خارج حدود ولايتها .

- أى تيار ؟! هذه البقعة هادئة تمامًا ، كسطح أملس ، يحوى بقعة من الزيت .

قال (موريس) فى حدة ، وقد أحنقه الجواب المتحذلق :

- كان يمكنك أن تكتفى بكلمة من حرفين .. لا .

قال الرجل فى عناد :

- ولكن ما قلته يريحنى أكثر .

انعقد حاجبا (موريس) فى غضب ، إلا أنه أشاح بوجهه ، وقال لمساعده فى حدة :

- من الطبيعى أن ينجح أجنبى مثله فى خداعنا ، مادمنا نكتفى بالحذلقة والسخافات .

غمغم مساعده فى حذر :

- الكل يقوم بواجبه يا سيِّدى .

هتف (موريس) فى حنق :

- لماذا لا يجدونه إذن ؟!

قال مساعده فى بطء ، تفاديًا لرد فعله العنيف :

- إنهم مجرَّد بشرٍ يا سيِّدى ، ولن يمكنهم أن يتشمَّموا أثره كما تتصورُ .

انعقد حاجبا (موريس) فى شدة ، وهو يحدِّق فى وجه مساعده ، الذى استدرك فى توتر ملحوظ :

- إنه مجرَّد رأى .

أمسك (موريس) كتفيه فجأة ، وهو يقول فى انفعال :

- إنه لم يكن يرتدى معطفه .

قال مساعده فى دهشة متوترة :

- وماذا فى هذا ؟!

هتف (موريس) ، وقد شمله انفعال حماسى عجيب :

- نحن مازلنا نحتفظ بمعطفه إذن .

أشار المساعد بيده ، قائلاً :

- السيد (جاك) يؤكِّد أنه معطفه هو .

هتف (موريس) :

- ومن سيصدقه ؟!

ثم تألّقت عيناه ، وهو يكمل :

ـ النتائج التى أنتظرها ، ستحسم أمر المالك الحقيقى لذلك المعطف .

بدا المساعد أكثر حيرة وتوترًا ، وهو يقول :

ـ أية نتائج ؟!

انطلقت من حلق (موريس) ضحكة عالية مجلجلة ، تموج بالعصبية ، والانفعال ، قبل أن يقول :

ـ لو أن رجال الشرطة يعجزون عن تشمّم رائحة ذلك الأجنبى ، فهناك ما يمكنه هذا .. وببراعة تامة أيضًا .

تساءل مساعده ، بمزيج من الحيرة والعصبية :

ـ مثل من ؟!

ضرب (موريس) كتفيه فى قوة ، قائلاً بنفس المرح الزائف :

ـ ليس من ، ولكن ماذا يا رجل .. قل : مثل ماذا ؟!

وعاد يطلق تلك الضحكة العصبية العالية ، وتاركًا مساعده ، والحيرة والتوتر يلتهمانه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

لم يتخلَ (جاك) عن حذره لحظة واحدة ، طوال الطريق ، من (نيويورك) إلى (نيو جيرسى) ، وظلّت أصابعه تداعب مقبض مسدسه فى تحفز ، حتى بلغت السيارة ذلك الكوخ الخشبى الصغير ، فى تلك المنطقة شبه الجبلية من (نيو جيرسى) ، وأوقفها (رامون) ، وهو يقول ، ببروده الشهير :

ـ وصلنا يا صديقى .

ألقى (جاك) نظرة حذرة على الكوخ ، وهو يقول :

ـ تُرى ماذا ينتظرنى هناك ؟! قاتل محترف ؟!

قال (رامون) بنفس البرود :

ـ أهذا ما تتوقّعه حقًا ؟!

أجابه (جاك) ، فى حذر عصبى :

- ما أتوقَّعه هو أن يسعى (هول) للتخلُص منى ، بعد أن حدث ما حدث .

هزَّ (رامون) رأسه فى بطء ، قائلاً :

- ليس هذا أسلوبه .

ثم غادر السيارة ، مستطردًا :

- وستتأكَّد من هذا بنفسك .

انتزع (جاك) مسدسه ، فى حركة عصبية سريعة ، ووثب خارج السيارة ، وهو يصوبه إليه ، قائلاً فى حدة :

- انتظر .

تطلَّع (رامون) إلى المسدس بنفس البرود ، قائلاً :

- ماذا هناك يا (جاك) ؟!

أشار (جاك) بيده ، قائلاً فى صرامة عصبية :

- أنت ستذهب أوَّلاً .

سأله (رامون) فى برود مستفز :

- ولماذا ؟!

صاح به (جاك) :

- لأننى أريد هذا .

رفع (رامون) ذراعيه ، قائلاً :

- أنا لا أحمل سلاحًا ، ويمكنك تفتيشى بنفسك .

صاح (جاك) :

- قلت : اذهب أوَّلاً .

أومأ (رامون) برأسه إيجابًا ، وقال فى لا مبالاة :

- فليكن .

وفى خطوات باردة رتيبة ، اتجه نحو الكوخ ، وفتح بابه ، ثم أضاء مصباح الضوء فيه ، قائلاً :

- ماذا تريد منى أن أفعل أيضًا ؟!

اطمأن (جاك) بعض الشىء ، عندما فعل (رامون) ما فعل ؛ فهذا يعنى أن باب الكوخ غير ملغوم ، ومصباح الضوء فيه لن يشعل قنبلة ، وليس هناك قاتل محترف ، يُطلق الرصاص على رأسه فور دخوله ..

ولكن هذا لم يدفعه إلى التخلِّى عن حذره ..

لقد تحرّك نحو الكوخ ، وهو يمسك مسدسه في قوة ، ويتلفت حوله ، في حين وقف (رامون) داخل الكوخ ، يراقبه في برود ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره ، ثم لم يلبث أن قال بأسلوبه اللامبالي :

- هل تحتاج إلى مصباح يدوى ؟!

قالها ، وهو يمدّ يده في بساطة إلى الجدار الداخلي للكوخ ..

ثم فجأة ، اعتدل في وقفته ، وعادت إليه يده ، ممسكة بمسدس قوى ، تحمل فوهته كاتمًا للصوت ..

ودون أن ينبس بحرف واحد ، وقبل حتى أن يستوعب (جاك) الأمر ، ضغط (رامون) زناد مسدسه ..

وأطلق النار ..

ست رصاصات ، خرجت بصوت مكتوم ، وغاصت كلها في جسد (جاك) ورأسه ، فاتسعت عينا هذا الأخير عن آخرهما ، في ألم وارتياع ، وسقط مسدسه من يده ، وهو يتمتم بصوت مختنق :

- أيها الـ ... الـ ...

ثم هوى جثة هامدة ..

وبنفس البرود ، وبذات اللامبالاة ، دس المسدس في جيبه ، ثم اتجه إلى الهاتف ، وأدار رقمًا قصيرًا ، ثم قال :

- تم التنفيذ بنجاح .

قالها ، وأعاد سمّاعة الهاتف إلى موضعها ، ثم مال جانبًا ، والتقط جاروفًا من الأرض ، ثم اتجه بلا مبالاة نحو جثة (جاك) ..

كان قد أنهى مهمته ، وبقي عليه أن يخفي معالمها .. إلى الأبد ..

* * *

الطقس كان باردًا بشدة في تلك الليلة ..

وبخاصة بالنسبة لجسد مبتل ..

ولقد شعر (أدهم) بأنه يكاد يتجمّد ، وهو يخرج من النهر ، ويعدو مبتعدًا عنه ، وسط الظلام والسكون والليل ..

كان قد انتقى تلك المنطقة الصناعية ، لحتمية خلوها من العمال والمارة ، في تلك الساعة من الليل ..

ولكن جسـده كان يرتعد من شـدة البرد ، وأطرافه تكاد تتجمَّد ، وأطراف أصابعه تؤلمه بشدة ..

وبكل آلامه ، التى يندر أن يحتملها مخلوق حى ، راح يتحرَّك فى المنطقة الصناعيـة ، بحثًا عن مكان يمكن أن يتسلَّل إليه ..

كانت المصانع خالية صامتة ، محاطة بأسوار منيعة ، ودون أطقم حراسة على الإطلاق ، لذا فقد تسلَّق أحد تلك الأسوار ، مستخدمًا مهاراته الخاصة ، ووثب داخل ساحة المصنع ، ثم اتجه إليه فى خفة ..

لم يكن هناك رجال حراسة بالفعل ؛ لأن الأبواب كلها كانت موصـدة بمنتهى الإحكام ومغلقة بأرتجة أمنية خاصة ، يستحيل اقتحامها ، بدون مفاتيحها الأصلية ..

ولكن رجلاً مثل (أدهم) لم يكن بحاجة إلى أبواب ..

لقد دار حول مجموعة المبانى ، حتى عثر على مبنى يمكن تسلق جدرانه ، وما إن بلغ سقفه ، حتى وجد قبة زجاجية ، مغلقة بقفل من طراز تقليدى ..

وهنا ، أخرج (أدهم) من جيبه ذلك السلك المعدنى الصغير ، وراح يعالج به القفل ، وهو يغمغم ، بأسنان تصطك من شدة البرد :

- ها هى ذى فائدة جديدة لمشبك الورق ، أيها الضابط (موريس) .

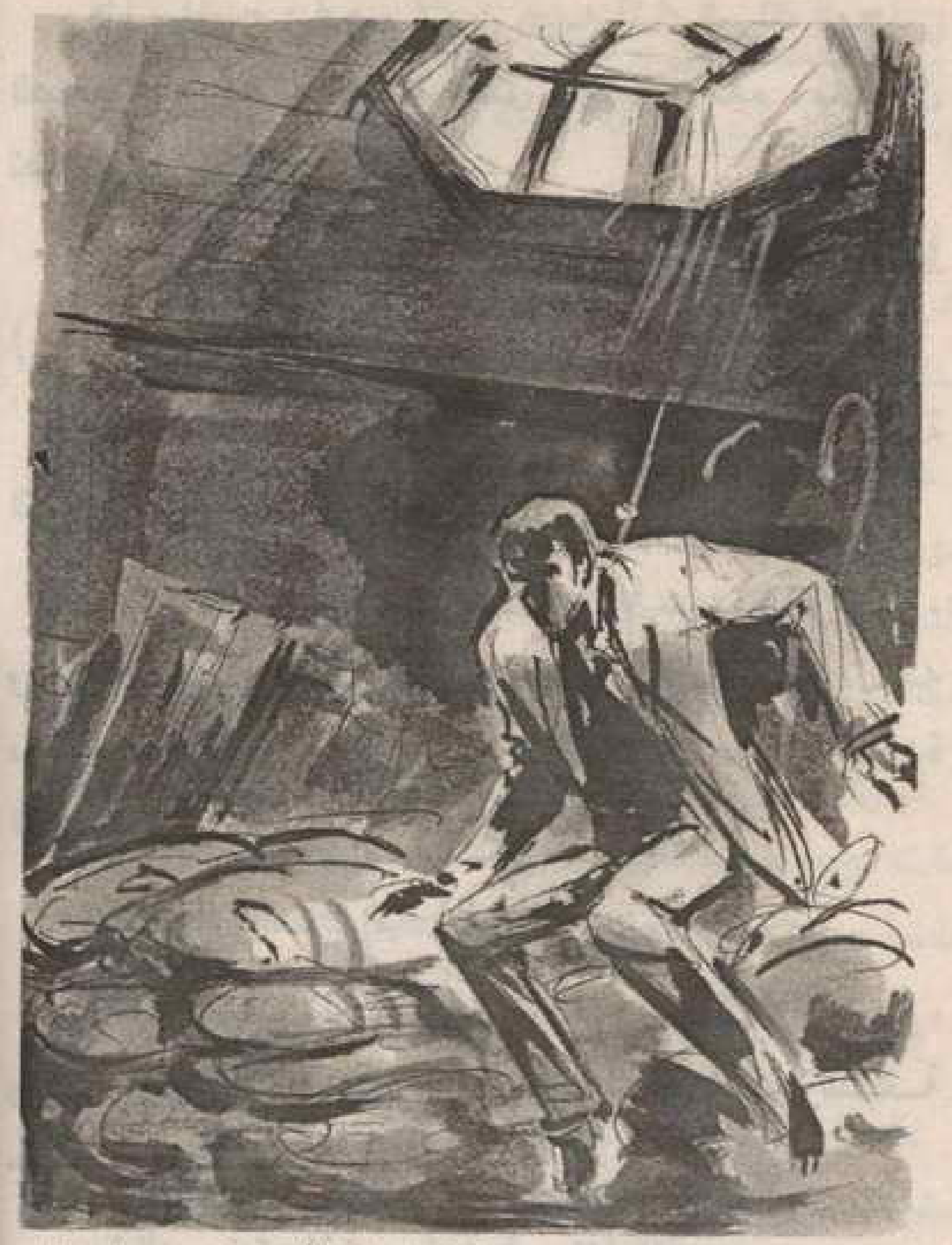
انفتح القفل ، مع آخر حروف كلماته ، فأزاح القبة الزجاجية ، وتطلَّع إلى أسفل ..

كان المكان عبارة عن مخزن للأسمدة النتراتيـة ، ويمتلئ بأجولـة الأسـمدة ، ذات الرائحـة النفَّاذة ، إلا أنه مزوَّد بنظام تدفئة خاص ، حتى لا تفسد الأسمدة بالبرودة الشديدة ..

وهذا كل ما يحتاج إليه (أدهم) ..

لذا ، فلقد وثب داخل المبنى ، فوق أجولـة الأسمدة ، ومنها هبط إلى الأرض ، واتجه نحو مواسير التدفئة مباشرة ، وهو يغمغم :

- يا إلهى ! كم كنت بحاجة إلى هذا الدفء .



لذا ، فلقد وثب داخل المبنى ، فوق أجولة الأسمدة ، ومنها هبط إلى الأرض

جذب بعض الأجولة الفارغة ، وفرشها أرضًا ، إلى جوار أنابيب التدفئة ، ثم خلع ثيابه ، وعلقها على الأنابيب الساخنة ، قبل أن يرقد بين الأجولة ، قائلاً لنفسه :

- أظن أن أفضل ما تحتاج إليه الآن هو قليل من الدفء ، وحصة من النوم يا (أدهم) ..

كان جسده المجهد المكدود يطالب بالأمرين فى شدة ، لذا فما إن وضع رأسه على ذلك الفراش المتواضع ، حتى غرق على الفور فى سبات عميق ..

عميق للغاية ..

وحتى فى أحلامه ، أو فى كوابيسه ، لم يكن يتوقع أو يتصوَّر أنه قد صار هدفًا لفريق من أقوى فرق المخابرات المركزية الأمريكية ..

ولفريق آخر ، لا ينتمى إلى عالم البشر ..

فريق له أنياب ..

ومخالب ..



« لقد أفلت منهم بالفعل يا مستر (هول) .. »

نطق (ريكى) العبارة فى حزم ، فانعقد حاجبا (هول) فى شدة ، وقال ، وهو يفرك كفيه ببعضهما فى توتر :

ـ هذا ما توقعته .

ثم استدار إليه يسأله فى صرامة :

ـ وماذا عن الفريق (دلتا) ؟!

أجابه (ريكى) :

ـ الرجال خرجوا لعملهم بالفعل ، ولن يعودوا إلا بالغنيمة .

سأله (هول) :

ـ هل حددتم منطقة البحث ؟!

أشار (ريكى) بيده ، قائلاً :

ـ الخبراء قدَّروا أنه لن يعود إلى (نيويورك) وأنه سيلجأ ، على الأرجح ، إلى (نيو جيرسى) .

سأله فى صرامة :

ـ أين بالضبط ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ فى المنطقة الصناعية ؛ فهناك يمكنه أن يجد الهدوء اللازم للتخفى .

قال (هول) فى توتر :

ـ هذا لو أنه يعرف طريقه جيِّدًا .

قال (ريكى) فى حزم :

ـ لقد قلت هذا لخبراء الشركة ، ولكنهم أجابوا بأن قليلين هم من يعرفون الطريق الجانبى ، المجاور لنفق (نيو جيرسى) ، والذى يقود إلى النهر مباشرة ، وهذا يعنى أنه يعرف طريقه ، على الرغم مما يدعيه جواز سفره ، من أنها زيارته الأولى للولايات المتحدة الأمريكية .

ضاقت عينا (هول) ، وهو يغمغم :

ـ أنا أيضًا قدَّرت هذا .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، مستطردًا :

ـ إذن فالرجال سيبدءون عملهم من المنطقة الصناعية .

ابتسم (ريكى) ، قائلاً :

ـ وسينهونه أيضًا هناك يا مستر (هول) .

تراجع (هول) فى مقعده ، وهو يقول بكل صرامته :

ـ سيكون هذا أفضل يا (ريكى) .. أفضل للكل .

نطقها بأسلوب مخيف بحق ..

أسلوب ثعلب ..

قاتل ..

★ ★ ★

نهض قائد الشرطة فى (نيو جيرسى) ، ليصافح الضابط الفيدرالى (موريس) ، وألقى نظرة على المعطف الذى يحمله على يده ، على الرغم من ارتدائه معطفًا آخر ، وهو يقول :

ـ مرحبًا بك فى (نيو جيرسى) يا سيِّد (موريس) .. لقد أرسلنا قواتنا لتفتيش شواطئ النهر من جانبنا ، وكلهم يبحثون عن ذلك الرجل الآن ، وسوف ...

قاطعه (موريس) بأسلوب يوحى بنفاد الصبر :

ـ لديكم هنا كلاب مطاردة .. أليس كذلك ؟!

لم ترق هذه المقاطعة لقائد الشرطة ، ولكنه أجاب :

ـ بلى لدينا فرقة كاملة من كلاب المطاردة ، ولكنها تحتاج إلى شىء يخص من ستطارده .

دفع إليه (موريس) المعطف ، قائلاً :

ـ ها هو ذا .

فحص قائد الشرطة المعطف فى اهتمام متسائلاً :

ـ أهو معطفه ؟!

أجابه (موريس) :

ـ نحن نعتقد هذا .

رفع قائد الشرطة عينيه إليه ، وهو يقول :

ـ الفيلم الذى رأيناه لما حدث فى مطار (جى . إف . كيه) ، كان المنقذ فيه يرتدى هذا المعطف ، وليس القاتل .

قال (موريس) فى صرامة :

ـ لم نصل إلى مرحلة تحليل الموقف بعد .

قال قائد الشرطة فى حزم :

ـ الأمر لا يحتاج إلى تحليل طويل ، فلو أن هذا المعطف يخصَّ الهارب الذى تسعون خلفه ، فهذا يعنى أنكم تعبثون ، وتطاردون المنقذ بدلاً من القاتل ، فلماذا تفعلون هذا بالضبط ؟!

قال (موريس) فى عصبية :

ـ ليس هذا من شأنك .

أجابه قائد الشرطة فى حدة :

ـ بل هو من شأنى أيها الفيدرالى .. إننى رجل شرطة ، ومهمتى هى تحقيق العدالة ، والسعى خلف الحقيقة وحدها ، وما أراه الآن هو أنك لا تسعى للأهداف نفسها ، ولكن يحنقك أن ينجح شخص ما فى الفرار منكم ، على الرغم من قوتكم وسلطاتكم الواسعة ؛ لذا فأنت تسعى للإيقاع بذلك الشخص ، والانتقام منه ، بغض النظر عما إذا كان بريئًا أو مذنبًا ، وهذا لا يليق بضابط فيدرالى محترم .

صاح به (موريس) فى غضب :

ـ انتبه لما تقول .

صاح فيه قائد الشرطة بدوره :

ـ وانتبه أنت لما تفعل .

التقط (موريس) نفسًا عميقًا ، فى محاولة لتهدئة أعصابه الثائرة ، ثم قال :

ـ اسمعنى جيدًا يا رجل .. لست أختلف معك قط فيما ذهبت إليه ، وربما كنت أسعى بدورى لتأكيد الأمر نفسه ، أو لحسم حالة من الشك ، تكاد تعصف بنفوسنا جميعًا .. سنترك الكلاب المدرَّبة تتشمَّم هذا المعطف ، ولنر إلى أين تقودنا .. ولكن لا تنس أن ذلك الشخص ، الذى أنقذ الزعيم الإفريقى فى المطار ، ليس فوق مستوى الشبهات أيضًا .. لقد شاهدتم كلكم كيف يقاتل ، وكيف يمتلك عددًا مدهشًا من المهارات ، على نحو يدعو للشك فى هويته .. ألست معى فى أن واجبنا يحتم علينا استجوابه أيضًا ؟!

تردَّد قائد الشرطة فى (نيو جيرسى) لحظة ، قبل أن يهزّ رأسه ، قائلاً :

ـ بلى أعتقد هذا .

قال (موريس) فى سرعة :

ـ وهذا ما نسعى إليه .. فإما أن يقودنا فريق الكلاب إلى شخص آخر ، فيكون هذا الذى نطارده هو القاتل ، الذى نبحث عنه ، أو يقودنا إلى من نطارده بالفعل ، فيمكننا عندئذ استجوابه عن هويته ، وعن السبب الحقيقى لزيارته للولايات المتحدة الأمريكية .

تنهدَّ قائد الشرطة ، مغمغمًا :

ـ أمر معقول .

ثم اعتدل ، مضيفًا فى حزم :

ـ أظن فريق الكلاب المدرَّبة مستعد للانطلاق فورًا ، أيها الضابط (موريس) .

تنفس (موريس) الصعداء ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـ عظيم .

فقد كان هذا يحقق له ما أراد ..

تقريبًا ..

★ ★ ★

التهبت الأكف بالتصفيق ، للدكتور (أحمد صبرى) ، وهو يصعد بمعطف الخريجين ، وقبعتهم المميّزة ، ليتسلَّم شهادة نجاحه ، فى هذه الدورة الخاصة ، لجراحات المخ والأعصاب ..

ووسط المصفقين ، كان (أدهم) ..

كان وسيمًا ، أنيقًا كعادته ، يصفق فى حرارة وسعادة ..

واستدار إليه (أحمد) ..

وابتسم ..

كان يبدو سعيدًا ، فرحًا بشهادته الجديدة ، و ...

وفجأة ، اقتحم أحدهم الباب ، وأطلق صرخة قتالية مخيفة ..

وتعرَّفه (أدهم) على الفور ..

إنه رجل المخابرات الأمريكى القاتل (جاك) ..

وكان يحمل مسدسًا ضخمًا ..

وبكل غضب الدنيا ، رفع (جاك) مسدسه ، وصوَّبه إلى (أحمد) ..

وصرخ (أدهم) ، وهو يعدو بكل قوته نحو شقيقه :

ـ لا .. ليس (أحمد) .. لا ..

ولكن (جاك) ضغط زناد مسدسه ..

وانطلقت رصاصته ..

وانتفض جسد (أدهم) فى عنف ، وهو يصرخ :

ـ لا .. لا ..

ثم هبَّ من رقاده ..

عندئذ فقط ، أدرك أنه كان كابوسًا ثقيلاً ..

والعجيب أن جسده كله كان يتصبَّب عرقًا ، كما لو أنه يرقد وسط صحراء حارة ملتهبة ..

وبأنفاس لاهثة ، تنهَّد (أدهم) ، وهزَّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ يا له من كابوس !

لم يكد ينطقها ، حتى تناهت إلى مسامعه تلك الأصوات ، الآتية من بعيد ..

أصوات ممتزج بعضها بالبعض ، على نحو صعب تمييزه فى البداية ..

ثم فجأة ، أصبح واضحًا تمامًا ..

وانعقد حاجبا (أدهم) ..

إنه نباح كلاب ..

كلاب يبدو أنها تبحث عن شىء ما ..

أو شخص ما ..

ولم يكن الأمر بحاجة إلى كثير من الذكاء ، ليدرك هوية من تبحث عنه تلك الكلاب ..

إنها تبحث عنه هو ..

وبسرعة ، نهض يرتدى ثيابه ، التى جفت إلى حد كبير ، ثم أسرع إلى أجولة الأسمدة ، مغمغمًا :

ـ أعتقد أن الخروج من هنا لن يكون بنفس سهولة الدخول إليه .

تسلَّق أكوام الأجولة فى سرعة ، حتى بلغ تلك القبة فى السقف ، فدفعها إلى أعلى ، وألقى نظرة عبرها ..

وانعقد حاجباه أكثر وأكثر ..

فعلى مسافة عشرة أمتار فحسب ، من الأسوار المحيطة بالمكان ، كان هناك فريق من رجال الشرطة ، يتجهون مع فرقة من الكلاب المدرَّبة ، نحو المنطقة التى يختبئ فيها مباشرة ..

وعند الأسوار ، توقَّف الكل ، وهتف أحد رجال الشرطة :

- إنه هنا ولا شك .

صاح به (موريس) فى انفعال :

- حاصروا المكان كله .. لا تتركوا له ثغرة واحدة هذه المرة .

ثم اندفع نحو فرقة أخرى من رجال الشرطة ، هاتفًا :

- حطموا رتاج هذا السور ، وانتشروا فى المكان .

حطَّم الرجال رتاج السور ، وانتشروا مع الكلاب المدرَّبة داخل المكان ، وأحاطوا به من كل صوب ، ثم أحاطت الكلاب بمخزن أجولة الأسمدة ، وراحت تنبح فى قوة ، فتألَّقت عينا (موريس) ، وهو يقول فى حزم :

- عظيم .. إنه هنا إذن .

غمغم قائد شرطة (نيو جيرسى) فى توتر :

- وهو ليس القاتل أيضًا .

قال (موريس) فى صرامة :

- ربما .

ثم أشار إلى رجاله ، مضيفًا بصرامة حازمة ، تمتزج بلمحة من الشراسة :

- اقتحموا المكان .

وكان هذا الأمر يعنى أن (أدهم) سيواجه الكثير هذه المرة ..

الرجال ..

والأنياب ..

والمخالب ..

حصار يصعب الفكاك منه ..

بل يستحيل هذا ..

تمامًا .

★ ★ ★

٨ ـ أنياب ومخالب ..

« مستحيل ! »

هتف (قدرى) بالكلمة فى انفعال ، وهو يتراجع فى مقعده بحركة حادة ، فالتفتت إليه (منى) ، متسائلة فى دهشة :

ـ ما المستحيل ؟!

لوّح بذراعه ، هاتفًا :

ـ أن يخرج (أدهم) من هذا الحصار .

ثم نهض واقفًا ، وهو يضيف فى انفعال :

ـ سلينى أنا عن الكلاب المدرّبة .. إنها تلتقط رائحة الهدف ببراعة مدهشة ، ولا يمكنك خداعها قط .

ابتسمت ، قائلة :

ـ إنها مجرّد كائنات حية .

هتف :

ـ كائنات ذات حاسة شم قوية .. كائنات لها أنياب ومخالب ، تمزّق بها خصومها بلا رحمة .

تنهّدت ، قائلة :

ـ ولكنها مجرّد كائنات حية .

سألها فى حيرة :

ـ ما الذى يعنيه ترديدك لهذه العبارة ؟!

ابتسمت ، قائلة :

ـ يعنى أن لها حواس مثلنا ، ونقاط ضعف أيضًا ، إلى جوار نقاط قوتها .

قال فى حيرة أكثر :

ـ ما زلت لا أفهم ما الذى يعنيه هذا .

صمتت بضع لحظات ، ثم اعتدلت ، وهى تقول فى اهتمام :

ـ هل تعلم ما أفضل ما فعله والد (أدهم) بابنه ؟! أنه لم يدرّبه ليصبح ثورًا قويًا فقط ، وإنما حرص أيضًا على صقل مهاراته العقلية ، وتزويده بثقافة واسعة ، تعينه

على اتخاذ قرارات صائبة ، فى أوقات الخطر ، ولكن أفضل ما دربه عليه على الإطلاق ، هو كيفية الاستفادة بكل ما حوله ، مهما بلغت بساطته ، للفوز بمعارك خطيرة مخيفة .

حدّق فى وجهها بضع لحظات ، فى صمت تام ، ثم لم يلبث أن عاود الجلوس ، وهو يقول فى انفعال :

ـ اسمعى .. لقد كنت أشعر بالجوع مرة أخرى ، ولكن لست أظننى أستطيع إضاعة لحظة أخرى ، قبل أن أعرف ما الذى فعله (أدهم) بالضبط .

ثم أشار إلى الملف ، مستطردًا فى لفهة :

ـ هيا .. واصلى القراءة .

أومأت برأسها ، وهى تبتسم ، مغمغمة :

ـ بالتأكيد ..

وعادت تروى ..

★ ★ ★

التفت الكلاب المدرَّبة حول مخزن الأسمدة ، وهى تنبح بشدة ، وتضرب الأرض بمخالبها فى عصبية متوترة ، فابتسم (موريس) فى ظفر ، وهو يغمغم :

ـ إنه هنا .

قال قائد شرطة (نيو جيرسى) فى توتر :

ـ ولكن ما حدث يثبت أنه صاحب المعطف الحقيقى ، وهذا يعنى أنه ليس القاتل ، وإنما المنقذ .

قال (موريس) فى صرامة :

ـ منقذ مجهول ، يمتلك مهارات تثير ألف شك .

هتف قائد الشرطة فى حنق :

امتلاك المهارات ليس جريمة ، تستوجب مطاردة شرسة كهذه .

أجابه (موريس) فى خشونة :

ـ دعنا نوقع به أوَّلاً ، ثم نتساءل بعدها عما نفعله بشأنه .

تراجع قائد الشرطة خطوتين إلى الخلف ، وهو يقول فى غضب :

- لن أشارك فى هذه الجريمة .

ابتسم (موريس) فى سخرية عصبية ، قائلاً :

- اذهب إلى الجحيم .

ثم صاح برجاله فى حدة :

ماذا تنتظرون ؟!

هتف به أحدهم :

- رتاج المخزن مغلق من الخارج ، والرتاج من نوع صلب للغاية ، وهذا يعنى أنه من المستحيل أن يكون الهارب بالداخل .

زمجر (موريس) ، قائلاً :

- لا ترهق نفسك بالتفكير يا رجل .. نفذ الأوامر فحسب .

ثم مطَّ شفتيه ، مضيفاً فى صرامة :

- الكلاب تشم رائحته فى الداخل ولا يمكنك خداع أنوف مدربَة كهذه .

تراجع رجل الشرطة ، ثم صوَّب مسدسه إلى الرتاج ، وأطلق النار ..

وتضاعف هياج الكلاب ، مع دوى الرصاصات ، التى لم تنجح فى نسف الرتاج ، فصاح (موريس) فى حدة :

- ماذا تنتظرون ؟! انسفوه .

أسرع الرجال يثبتون مفجرًا فى الرتاج ، فى حين قال قائد شرطة (نيو جيرسى) فى توتر شديد :

- إنك تتجاوز كل القوانين والأعراف أيها الفيدرالى .. سأكتب هذا واضحًا فى تقريرى .

لوَّح (موريس) بيده ، قائلاً :

- افعل ما شئت .

قالها ، وهو يراقب الرجال ، الذين ابتعدوا فى سرعة ، ثم رفعوا أيديهم لحماية وجوههم ورءوسهم ، و....

ودوى الانفجار ..

انفجار محدود ، نسف الرتاج ، وأطاح به بعيدًا ، فصاح (موريس) ، بكل انفعال الدنيا :

- اهجموا .

اندفع الرجال والكلاب إلى المخزن ، بكل العنف والشراسة ، و....

وفجأة ، اندلعت النيران فى وجوههم ..

أجولة السماد اشتعلت دفعة واحدة ، وانطلقت منها سحب مباغتة من الدخان مع ألسنة اللهب ..

وانتفض جسد (موريس) فى عنف ، وهو يصرخ :

ـ لا .. ليس مرة أخرى ..

أما قائد الشرطة ، فقد انعقد حاجباه فى صمت ، وإن حملت ملامحه أمارات تشفٍّ واضحة ..

وعلى الرغم من تراجع الرجال والكلاب ، مع ألسنة اللهب وسحب الدخان ، الذى يحمل رائحة نفّاذة قوية ، اندفع (موريس) إلى هناك ، صائحًا :

ـ ماذا حدث ؟!

صاح أحد رجال الشرطة ، وهو يشير إلى المكان :

ـ يبدو أن المفجر الذى استخدمناه ، هو الذى أشعل النار .

هتف (موريس) :

ـ مستحيل !! هذا ليس منطقيًا .

كانت الكلاب تنبح فى شراسة ، مما جعله يضيف محتدًا :

ـ ولكنه كان بالداخل .. الكلاب تصرّ على هذا .

رفع الشرطى كفه ، ليخفى أنفه وفمه ، وهو يهتف :

ـ لا تعتمد على الكلاب وحاستها الآن ، فرائحة الأسمدة المحترقة تفسد حاسة الشم لديها مؤقتًا ، وستحتاج إلى ساعة على الأقل ، لتستعيد قدرتها مرة أخرى .

انعقد حاجبا (موريس) ، وهو يهتف محنقًا :

ـ يا للشيطان !

ثم تلفت حوله ، مستطردًا فى حدة :

ـ ولكنه هنا حتمًا .. إنه لم يبتعد كثيرًا .. فتشوا المنطقة كلها .. ابحثوا عنه فى كل شبر .

مع آخر حروف كلماته ، انطلقت أجهزة الأمن ضد الحرائق تعمل تلقائيًا ، فانطلقت المياه فى المكان ، وغمرت

ألسنة اللهب ، فتصاعدت سحب الدخان بعنف أكثر ، مما جعل الكل يتراجع فى سرعة ، وضاعف من حدة (موريس) ، الذى صرخ :

- إنه هنا .. إنه هنا .

كان يسعل بشدة ؛ وسط سحب الدخان ، عندما شعر بقبضة كالفولاذ تطبق على رسغه ، وبصوت ساخر من خلفه ، يقول :

- نعم .. إنه هنا .

استدار (موريس) بأقصى سرعته نحو مصدر الصوت ، وهو يصرخ :

- النجدة .. إنه ....

قبل أن تكتمل صرخته ، هوت على فكه لكمة كالقنبلة ، أعقبتها ثانية فى معدته ، وثالثة فى أنفه ، فهوى فاقد الوعى ..

ومن بعيد ، تناهت إلى مسامع الكل أصوات أبواق سيارات الإطفاء والإسعاف ، وبدا من الواضح أن الأمور كلها قد اختلطت ببعضها ..

وكانت أمام (أدهم) فرصة نادرة للفرار ، وسط الارتباك الذى أصاب الجميع ، إلا أنه ، على الرغم من هذا ، انحنى يحمل (موريس) الفاقد الوعى وعدا به خارج منطقة الدخان الكثيف ، ثم أرقده أرضًا ، وهو يغمغم :

- سيدهشك عندما تستيقظ ، أن مشبك الورق فعل كل هذا ، أيها الفيدرالى المتغطرس .

قالها ، ثم اعتدل واقفًا ، و....

ووجد نفسه وجهًا لوجه ، أمام قائد شرطة (نيوجيرسى) ، الذى يصوِّب إليه مسدسًا ضخمًا ..

ولثوان ، تجمَّد الموقف كله ، وكلاهما ينظر إلى عينى الآخر مباشرة ..

لم يكن (أدهم) يرتدى حلته ، وإنما زيًّا من أزياء عمال المصنع ، وعلى الرغم من هذا فقد تعرَّفه قائد الشرطة على الفور ، وصوَّب إليه مسدسه لحظة ، ثم لم يلبث أن خفض فوهة مسدسه ، قائلاً فى عصبية :

- اذهب .

لم ينبس (أدهم) ببنت شفة ، فصاح قائد الشرطة ، وهو يلقى إليه مفاتيح سيارته :

ـ هيا .. اذهب .

التقط (أدهم) المفاتيح ، وقال فى هدوء :

ـ أشكرك .

ثم اندفع نحو سيارة الشرطة ، ووثب إليها ، وانطلق بها مبتعدًا ، فى نفس اللحظة التى وصلت فيها سيارات الشرطة والإسعاف ..

أما قائد الشرطة ، فقد ظلَّ جامدًا فى مكانه لبضع لحظات ، قبل أن يتنهَّد فى ارتياح ، ويغمغم فى بطء :

ـ عجبًا ! إننى أشعر براحة تامة .

ودار على عقبيه ، واتجه إلى حيث رجاله ، دون أن يضيف حرفًا واحدًا ..

أى حرف ..

* * *

أشارت عقارب الساعة إلى الثانية والنصف صباحًا ، عندما دلف (ريكى) إلى حجرة مكتب (هول) ، قائلاً :

ـ لقد أفلت منهم مرة أخرى .

غمغم (هول) ، وهو يقف عند النافذة :

ـ ذلك لن يدهشنى .

قال (ريكى) فى اهتمام :

ـ ولكن ما فعله هذه المرة يشفَّ عن براعة مدهشة .

انعقد حاجبا (هول) ، وقال ، دون أن يلتفت إليه :

ـ ماذا فعل ؟!

شدَّ (ريكى) قامته ، وهو يجيب :

ـ لقد استخدم سلكًا من المعدن ، ألصقه بطرف الباب المعدنى ، ثم انتزع صمام أنابيب الغاز ، وسكب دلوًا من مادة الأسيتون القابلة للاشتعال ، فوق أجولة الأسمدة ، وعندما اقتحم رجال الشرطة المكان ودفعوا الباب للأمام ، احتكَّ طرف السلك المعدنى بالباب ، وأصدر شرارة صغيرة ،

كانت كافية لاشعال الغاز المنتشر ، ولاشتعال الأسيتون ، مما أشعل النار فى الأجولة ، وأطلق سحابة مباغتة من الدخان .

ازداد انعقاد حاجبى (هول) ، وهو يغمغم :

- يا للشيطان ! الأبخرة المتصاعدة من الأسمدة المشتعلة ستفسد رائحة الشم لدى الكلاب أيضًا .

قال (ريكى) :

- ليس هذا فحسب ، ولكنه ترك ثيابه فى المخزن ، لتلتهمها النيران ، واستبدل بها زيًا خاصًا بأحد عمال المخزن ، وخبراؤنا يعتقدون أنه سيحشو جيوب الزى بالأسمدة ، حتى لا تتوصَّل إليه الكلاب ، بعد حتى أن تستعيد حاسة الشم .

سأله (هول) :

- وكيف هرب من المكان ؟!

أجابه (ريكى) :

- هناك نقطة غامضة فى هذا ، فقد انطلق بسيارة قائد شرطة (نيو جيرسى) الرسمية ، وسط الارتباك ، والنيران ،

والدخان ، ووصول سيارات الإطفاء والإسعاف .. ولقد عثروا على السيارة خالية ، على مسافة عشرة كيلو مترات ، من (جيرسى سيتى) .

مطَّ (هول) شفتيه بضع لحظات ، قبل أن يسأل فى صرامة :

- ما موقف فريق (دلتا) ؟!

قال (ريكى) فى شىء من الجذل :

- سيتوصلون إلى مكمنه ، خلال نصف الساعة على الأكثر .

سأله (هول) فى حدة :

- وما الذى يجعلك واثقًا إلى هذا الحد ؟!

أجابه (ريكى) ، وهو يشير بيده :

- إنهم يستخدمون هليكوبتر صامتة خاصة ، وأجهزة بحث مزوَّدة بالأشعة تحت الحمراء ، وخط سير اقترحه الخبراء ، بعد أن درسوا أسلوب ذلك الأجنبى ووسائله .

صمت (هول) بضع لحظات ، قبل أن يغمغم :

ـ أتعشَم أن يفلح هذا .

قال (ريكى) فى حزم :

ـ سيفلح ..

ثم تألَّقت عيناه ، قبل أن يضيف :

ـ وسترى .

كان من الواضح أن إراقة الدم تروق له كثيرًا ..

كثيرًا جدًا ..

★ ★ ★

احتقن وجه (موريس) ، وهو ينـتزع يـده من طبيب الإسعاف ، قائلاً فى حدة :

ـ كفى .. لقد استعدت وعيى ، وكل شىء على ما يرام .

قال رجل الإسعاف فى ضجر :

ـ المفترض أن ينمّ حجزك لأربع وعشرين ساعة ، تحت الفحص والملاحظة ، طبقًا لـ ....

قاطعه (موريس) فى عصبية :

ـ احتفظ بنصائحك لنفسك يا هذا .

ثم التقط معطفه ، وارتداه فى حنق ، قائلاً :

ـ كيف يمكن أن يفلت منكم مرة أخرى ؟! كيف ينجح فى الإفلات من فريق من رجال الشرطة ، وفرقة مـن الكلاب المدرَّبة ؟!

بدا الضيق على وجوه رجال الشرطة ، فى حين ابتسم قائد الشرطة ، قائلاً :

ـ لقد أنقذ حياتك .

هتف (موريس) فى حدة :

ـ أنقذ حياتى بعد أن أفقدنى الوعى .

قال قائد الشرطة فى هدوء :

ـ كان يمكنه أن يتركك هناك ، ولكنه ليس بقاتل ، حتى يتركك تموت مختنقًا .

صاح (موريس) فى عنف :

ـ ليس بقاتل .

واجهه قائد الشرطة فى صرامة :

- نعم .. ليس بقاتل .. المعطف قاد الكلاب مباشرة إليه ، وهذا يعنى أنه معطفه ، وكلنا رأينا صاحب المعطف ينقذ الزعيم الإفريقى ، ويطارد القتلة فى إصرار .

صمت (موريس) بضع لحظات ، قبل أن يقول فى عصبية :

- وماذا عما فعله بنا ؟!

قال (قائد الشرطة) فى سرعة :

- وماذا تتوقَّع من رجل ، تطاردونه بكل هذه الشراسة ، لجريمة لم يرتكبها ؟!

تطلَّع إليه (موريس) فى صمت ، قبل أن يميل نحوه ، ويقول فى صرامة :

- من ارتكبها إذن ؟!

تردَّد قائد الشرطة لحظة ، ثم قال فى توتر :

- الاغتيالات السياسية تخصكم أنتم يا رجال الشرطة الفيدرالية ، ومهمتكم أن تجيبوا هذا السؤال .

قال (موريس) فى صرامة :

- الجواب سهل ، فلدينا اثنان فقط من المشتبه فيهم .. أحدهما أجنبى ، نجهل حقيقة هويته ، وكل شىء فيه يثير الحيرة والشك ، والآخر رجل مخابرات أمريكى .

هتف قائد الشرطة مبهوتًا :

- رجل مخابرات ؟!

تراجع (موريس) ، قائلاً بنفس الصرامة :

- قل لى أنت الآن : لمن ينبغى أن نوجِّه الاتهام ؟!

انعقد لسان قائد الشرطة بضع لحظات ، قبل أن يقول فى ارتباك :

- وماذا عن المعطف ؟!

التقط (موريس) معطف (أدهم) ، الملقى على مقعد مجاور ، وألقاه فى دلو معدنى ، ثم سكب فوقه بعض الكحول الطبى ، قبل أن يشعل قدَّاحته ، قائلاً فى صرامة باردة :

- أى معطف .

قالها ، وألقى القداحة المشتعلة على المعطف ، الذى اشتعلت فيه النيران فورًا ، فصاح قائد الشرطة فى جزع :

- ماذا تفعل ؟!



قالها ، وألقى القداحة المشتعلة على المعطف ، الذى اشتعلت فيه النيران فوراً ..

أجابه فى صرامة :

ـ أقضى على نقطة الضعف الوحيدة .

حدَّق فيه قائد الشرطة فى مقت ، وهو يهتف :

ـ هذا غير قانونى .. أى قانون تتبع يا رجل ؟!

أشار (موريس) إلى رأسه ، قائلاً :

ـ قانونى الخاص .

هتف قائد الشرطة :

ـ سأبلغ المسئولين ما فعلته .

سأله (موريس) فى برود :

ـ وما الذى فعلته ؟! إنه معطف قديم ، سئمت وجوده ، فأشعلت فيه النار .

هتف الرجل فى غضب :

ـ ولكنه ليس معطفك .

تألَّقت عينا (موريس) ، وهو يقول :

ـ اثبت هذا .

تراجع قائد الشرطة كالمصعوق ، وكأنما لا يصدِّق أن يتصرَّف ضابط فيدرالى كرجل عصابات ، فى حين التقط (موريس) سماعة الهاتف ، وهو يقول :

ـ هنا الضابط (موريس) .. أريد تكوين فريق مطاردة آخر .

ورمق قائد الشرطة بنظرة ساخرة متشفية ، مضيفًا :

ـ أقوى فريق لدينا .

واتسعت ابتسامته الساخرة المتشفية أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

اقتربت الساعة من الثالثة صباحًا ، عندما وصل (أدهم) إلى تلك البقعة الهادئة ، خارج (جيرسى سيتى) ، حيث يوجد مبنى المدرسة العليا ، وسط منطقة خضراء واسعة ، بعيدة عن المربعات السكنية والتجارية ..

كان مكانًا مثاليًا للاختباء ، خلال الساعات المتبقية ، قبل مطلع الفجر ، غمغم (أدهم) ، وهو يراقبه فى إمعان ، من خلف شجرة قريبة :

ـ عظيم .. تُرى هل سيمكننى أن أحظى بقسط آخر من النوم ، قبل أن تطلع الشمس ؟!

ظلَّ كامنًا فى مكانه لعشر دقائق كاملة ، قبل أن يتجه نحو مبنى المدرسة فى سرعة وخفة ..

كان مبنى من ثلاثة طوابق ، تحيط به مساحة خضراء ضخمة ، وبه نافذة واحدة مضاءة ، فى الطابق الأوَّل ، افترض (أدهم) أنها نافذة حجرة الحارس الليلى ، فدار حول المبنى ، وتفقد الموقف كله ، قبل أن يثب متعلقًا بنافذة فى الطابق الأوَّل ، وتسلَّقها فى سرعة ، إلى نافذة بالطابق الثانى ، عالج رتاجها بأحد أسلحة مديته السويسرية ، حتى فتحها ، ووثب داخل المكان ..

كان معملاً لمادة الكيمياء ، تراصت على أرففه عشرات المواد الكيماوية ، وتوزَّعت على موائده أدوات المعمل ..

وعلى أطراف أصابعه ، عبر (أدهم) المعمل ، حتى بلغ بابه ، ففتحه فى حذر ، وألقى نظرة على الممر خارجه ، قبل أن يتمتم :

ـ كل شيء على ما يرام .

كان هدفه أن يتجه إلى حجرة التربية الرياضية ، حيث سيجد حتمًا ما يمكن أن يستخدمه للنوم ..

وللدفاع عن نفسه وقت الحاجة ..

ولكنه كان يجهل طريقه إليها ..

وكان عليه أن يبحث ..

ويبحث ..

ويبحث ..

وأخيرًا عثر عليها ، في الطابق الأرضي ، فابتسم في ارتياح ، وألقى نظرة على ساعته ، مغمغمًا :

ـ رائع يا (أدهم) .. أمامك ساعتان كاملتان ، للنوم والراحة ، قبل أن ....

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه في شدة ، عندما تناهى إلى مسامعه أزيز طائرة هليكوبتر ، تبدو وكأنها آتية من بعيد ..

بعيد جدًا ..

وفي سرعة وحذر ، اتجه إلى أقرب نافذة ، ليبحث ببصره عن تلك الهليكوبتر ، و.... وانعقد حاجباه في شدة أكثر ..

فالطائرة لم تكن بعيدة ، كما أوهمه صوتها المنخفض ..

لقد كانت على مسافة خمسة أمتار فحسب من مبنى المدرسة ، تدور حولها ، وكأنها تفحصها ..

ثم فجأة ، وثب منها رجل قوي البنية ، مفتول العضلات ، يرتدي زيًا قتاليًا أسود ، وقناعًا سميكًا ، يحوي منظارًا للرؤية الليلية ، ويحمل مدفعًا آليًا قويًا ، وثلاث قنابل يدوية ، مع قنبلتي دخان في حزامه ..

وفور هبوطه ، على نحو يشفّ عن قوة ومرونة ، تحركت الهليكوبتر ، وبرز عند بابها مقاتل آخر مماثل ، يستعد للقفز ..

ومع اختفاء الهليكوبتر الصامتة ، على الجانب الآخر للمبنى ، أدرك (أدهم) ما يحدث بالضبط .. إنهم ليسوا رجال الشرطة ..

إنه فريق خاص ، جاء خصيصًا لمحاصرته ..

والقضاء عليه ..

فريق من وحوش آدمية ، بلا أنياب أو مخالب ..

ولقد تحرك المقاتل المواجه له فى حذر ، وألقى نظرة على الأرض فى اهتمام ، قبل أن يعتدل ، ويلتقط جهاز الاتصال اللاسلكى المحدود من حزامه ، ويهمس عبره ..

ولم يكن (أدهم) بحاجة إلى الكثير من الذكاء والبراعة ، ليفهم ما حدث ..

ذلك المنظار الخاص ، جعل المقاتل يلمح آثار أقدام (أدهم) ، المتجه إلى مبنى المدرسة العليا .

وهذا يعنى بدء حصار جديد ..

حصار من فرقة (دلتا) ..

الفرقة التى تحمل أمرًا مباشرًا بقتله ..

وبلا رحمة .

* * *

٩ ـ القتلة ..

« الرجال عثروا عليه .. »

نطق (ريكى) العبارة فى جذل وحشى ، وتألقت عيناه على نحو عجيب ، جعل (هول) يبتسم ، قائلاً فى هدوء :

ـ وهذا يروق لك كثيرًا .

هزَّ (ريكى) كتفيه ، قائلاً :

ـ بالتأكيد .

تراجع (هول) فى مقعده ، وهو يقول :

ـ كم سيستغرقون للظفر به فى رأيك ؟!

أجابه فى سرعة وثقة :

ـ ربع الساعة على الأكثر .

هزَّ (هول) رأسه نفيًا فى بطء ، وقال :

ـ ليس أقلَّ من ساعة .

ابتسم (ريكى) ، قائلاً :

ـ عجبًا ! كنت أظنك تعرف قدرات فريق (دلتا) جيِّدًا يا مستر (هول) !

ضاقت عينا (هول) ، وهو يقول :

ـ وأنا كنت أظنك تتعلَّم من أخطاء الآخرين يا (ريكى) .

مال (ريكى) نحوه ، قائلاً :

ـ مائة دولار على أنهم سينسفونه نسفًا ، قبل مرور عشرين دقيقة .

التقط (هول) نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ مائتى دولار على أنه سيقاوم لساعة كاملة .

تألَّقت عينا (ريكى) مرة أخرى ، وهو يعتدل ، قائلاً :

ـ اتفقنا .

ران عليهما الصمت لحظة ، قبل أن يقول (هول) فجأة :

ـ وماذا لو أنه هزمهم ؟!

هتف (ريكى) مستنكرًا :

ـ يهزم خمسة من قوة (دلتا) ؟!

هزَّ (هول) كتفيه ، قائلاً فى هدوء :

ـ ماذا لو ....

هتف (ريكى) فى تحد :

ـ عندئذ سأرفع قيمة الرهان إلى خمسمائة دولار .

قال (هول) فى هدوء :

ـ اتفقنا .

وصمت لحظة مفكِّرًا ، قبل أن يضيف فى صرامة :

ـ وصدقنى يا (ريكى) ، لو أننى ربحت هذا الرهان ، فستكون أسوأ مرة ربحت فيها رهانًا ، فى حياتى كلها .

ابتسم (ريكى) ، قائلاً :

ـ اطمئن يا مستر (هول) ، هذا رهان لا يمكن أن تربحه ، فطبقًا لما قدَّره الخبراء ، ليس من السهل أبدًا ، على مقاتل محترف ، أن يهزم واحدًا من مقاتلى قوة (دلتا) ، فما بالك بخمسة منهم ، يواجهون رجلاً واحدًا .

تنهَّد (هول) ، وشرد ببصره ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

فمن أعمق أعماقه ، ولأوَّل مرة فى حياته ، تمنى أن يخسر الرهان ..

ألف مرة ..

★ ★ ★

من المؤكَّد أن أفراد قوة (دلتا) كانوا مدربين على نحو مدهش بحق ؛ فدون أدنى صوت ، وببراعة منقطعة النظير ، وتنسيق يستحق الإعجاب ، حاصروا مبنى المدرسة العليا من كل ناحية ، ثم عبروا أسوارها ، وتسلَّلوا إليها ، بتحطيم أرتجة نوافذ الطابق الأرضى ..

وعندما أصبح أربعة منهم بالداخل ، وبإشارات صامتة حازمة ، انقسموا إلى فريقين ، فظلَّ اثنان منهم فى الطابق الأرضى ، يجوبانه فى سرعة وتحفز ، فى حين صعد الآخران إلى الطابق العلوى لتمشيط المبنى ، من أعلى إلى أسفل ..

أما الخامس ، فقد بقى بالخارج ، يدور حول المبنى طوال الوقت ، للتيقّن من أن (أدهم) لن يتسلّل خارجه فى أية لحظة ..

وفى لحظة واحدة ، بدأ أفراد الفريقين ، العلوى والسفلى ، فى تفتيش طوابق المبنى .. كان كل فريق منهما يتحرَّك من نقطة ثابتة فى أقصى الطابق ، لتفتيشه حجرةً حجرة ، بمنتهى الدقة والإتقان ..

والسرعة أيضًا ..

وفى كل مرة ، كان أحدهما يفتش الحجرة ، والآخر يبقَى فى الممر ، لضبط إيقاع عملية البحث ..

كل هذا ، دون أن يشعر حارس المبنى بما يحدث ..

وهذا يشفّ عن منتهى البراعة ..

ثم إن هذا الأسلوب ، المتقن للغاية كان يضمن لهم السيطرة الكاملة على المبنى ، فى كل لحظة ..

وكان يضع (أدهم) أيضًا فى موقف عسير للغاية ..

وفى الطابق الأرضى ، تحرَّك الفريق السفلى فى خفة وسرعة ، وهمس أحدهما ، عبر جهاز الاتصال المحدود للغاية :

- من (دلتا ـ ا) إلى (دلتا ـ ب) و (دلتا ـ ج) ..
لم يتمّ العثور على الهدف بعد .. وكل شىء على ما يرام .

أتاه تأكيد هامس ، من الفريق العلوى والزميل فى الخارج ، فدسّ جهاز الاتصال الصغير فى حزامه ، ثم دفع باب حجرة الرياضة ، فى الظلام الدامس ، ودلف إلى المكان فى خفة وحذر ، وهو يشهر مدفعه الآلى ، و....

وفجأة انزلقت الأرض تحت قدميه ..

لقد فوجئ بقدمه تستقر على مجموعة من كرات البلياردو ، فاختلّ توازنه فى قوة وضرب الهواء بذراعيه ، دون أن يصدر عنه أدنى صوت ، واندفع زميله محاولاً التقاطه ، ومنعه من السقوط ، و....

وفجأة ، اندفع (أدهم) من خلف حصان القفز الخشبى ، وانقضّ على الرجلين كالصاروخ ، ودون سابق إنذار ..

كانت الإضاءة منعدمة تقريبًا ، إلا من بصيص يتسلّل عبر النافذة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد بلغ (أدهم) هدفه بلحظة واحدة ، وهوى بقضيب حديدى صغير ، من

تلك التى تستخدم لتقوية عضلات الساعدين ، على وجه مقاتل (دلتا) ، تاركًا زميله ، الذى اختلّ توازنه ، يسقط أرضًا ..

ومع قوة الضربة وعنفها ، طار جسد مقاتل (دلتا) ، فارتطم بالجدار المقابل للباب فى قوة ، ثم هوى على وجهه ، فى نفس اللحظة التى دار فيها (أدهم) حول نفسه ، فى رشاقة مذهلة ، وركل المدفع ، من يد المقاتل الثانى ، ثم وثب ليركله فى وجهه مباشرة ..

ولكن المقاتل الفذ استعاد توازنه فى لحظة واحدة ، وأمسك قدم (أدهم) ، قبل أن تبلغ وجهه ، وأدارها فى عنف ، ليختلّ توازن (أدهم) نفسه ويسقط أرضًا ..

ومع سقوط (أدهم) ، وثب مقاتل (دلتا) ، لاستعادة مدفعه ، ولكن (أدهم) هبّ من سقطته كالليث ، وطار فى الهواء تقريبًا ، قبل أن ينقضّ على المقاتل كالإعصار ، ويلكمه فى فكه لكمة كالقنبلة ..

ولكن اللكمة ، وعلى الرغم من قوتها لم تُسقط الرجل ..

لقد استقبلها كجدار من الصلب ثم انقضّ على (أدهم) بدوره ، وكال له لكمة عنيفة ، هوت على كتف (أدهم) كالمطرقة ..

كان الظلام يعوقه بشدة عن قتال غريمه القوى ، الذى يتمتع بمزية المنظار الخاص بالرؤية الليلية ، ولكنه احتمل الضربة بدوره ، ثم انحنى ، وتفادى لكمة أخرى أكثر قوة ، ثم اندفع إلى الأمام ، ووثب نحو خصمه ..

وفى هذه المرة ، سقط الاثنان أرضًا ، واشتبكا مع بعضهما ، فى عنف بلا حدود ..

كان كل منهما يهوى على الآخر بعدد من اللكمات والركلات ، التى تكفى لقتل رجل عادى ، أو مقاتل من الدرجة الثالثة ..

ولكنها لا تفتّ فى عضد أحدهما بما يكفى ..

لذا ، فقد طال قتالهما لثلاث أو أربع دقائق كاملة ..

وفجأة ، وبمصادفة محضة ، وقعت يد مقاتل (دلتا) على مدفعه الآلى ..

وبسرعة مدهشة ، تليق برجل تدرَّب على أعلى مستوى ، التقط مقاتل (دلتا) مدفعه الآلى ، ودفع جسده خلفًا ، ثم وثب واقفًا على قدميه ، وهو يصوب مدفعه إلى (أدهم) ، بنفس الصمت الذى تدرَّب عليه طويلاً ..

ومع الظلام الدامس ، وقوة مقاتل (دلتا) ، كانت هذه المواجهة تعنى أن (أدهم) لن يربح الاشتباك هذه المرة .. أبدًا ..

* * *

كل شىء كان يؤكِّد أن (أدهم) سيخسر القتال هذه المرة .. دون أدنى شك ..

ولكن مع رجال مثل (أدهم صبرى) ، كثيرًا ما يهبّ القدر لنجدتهم ، فى أحلك المواقف تظلّ كلمة الحق هى العليا دومًا ..

لذا ، فقد اشتعلت أضواء الحجرة بغتة ، قبل أن يضغط مقاتل (دلتا) زناد مسدسه بلحظة واحدة ، وارتفع صوت حارس المبنى ، وهو يهتف فى دهشة مذعورة :

ـ ماذا يحدث هنا بالضبط ؟!

اشتعال الضوء المباغت ، أصاب عينى مقاتل (دلتا) ، كصفعة مباشرة عنيفة ، مع جهاز الرؤية الليلية الذى يرتديه ، فأدار رأسه بحركة غريزية ، وضغط زناد مدفعه الآلى دون أن يصوِّب نحو الهدف ..

وبسرعة مذهلة ، وعلى الرغم من تأثُّر عينيه بالضوء المباغت أيضًا ، مال (أدهم) جانبًا ، وانحنى ، ثم وثب فى الهواء ، ودار حول نفسه دورة مدهشة ، قبل أن يركل مقاتل (دلتا) فى وجهه ركلة ، بدت أشبه بالقنبلة ، وهى تحطِّم منظار الرؤية الليلية على وجهه ، ثم تدفع به إلى الخلف فى عنف ، ليرتطم بحارس المبنى ، ويسقطان معًا أرضًا ..

وقبل أن يستعيد توازنه ، وبعينين اعتادتا الضوء بسرعة ، قفز (أدهم) ، يلتقط قضيب الأثقال القصير ، ويهوى به على وجه مقاتل (دلتا) ..

وارتجّ جسد الرجل فى عنف ، ثم هوى رأسه على صدره فاقد الوعى ..

وفى ذعر ، دفع حارس المبنى الرجل عن جسده ، وصاح :

- ماذا يحدث هنا ؟!

التقط (أدهم) المدفع الآلى وهو يقول للرجل فى حزم :

- ابق هنا ، ولا تغادر المكان حتى ينتهى هذا .

هتف به الرجل :

- ينتهى ماذا ؟!

جذب (أدهم) منظار الرؤية الليلية ، من فوق وجه المقاتل الأوَّل ، وارتداه على عينيه ، وهو يدفع حارس المبنى داخل الحجرة ، ويطفئ أنوارها مرة أخرى ، قائلاً فى صرامة :

- ابق هنا .

انكمش الحارس فى مكانه وسط ظلام الحجرة ، وهو يردِّد فى هلع :

- رباه ! ماذا يحدث ؟! ماذا يحدث ؟!

أغلق (أدهم) الباب عليه فى إحكام ، ثم تطلَّع عبر جهاز الرؤية الليلية ، إلى الممر الطويل أمامه ، وغمغم :

- تُرى كَم تبقى منهم ؟!

تحرَّك خطوة إلى الأمام ، ثم توقَّف بغتة ، وانعقد حاجباه فى تفكير عميق ، قبل أن يبتسم فى سخرية ، مغمغمًا :

- نعم .. ولِمَ لا ؟!

لم يكد ينطقها ، حتى انطلق أزيز خافت ، من جهاز الاتصال الذى يحمله المقاتل الفاقد الوعى ، ثم انبعث منه صوت يهمس :

ـ من (دلتا ـ ب) إلى (دلتا ـ ا) و(دلتا ـ ج) .. ماذا يحدث عندكم ؟! هل تم العثور على الهدف ؟!

التقط (أدهم) جهاز الاتصال المحدود ، وهو يغمغم :

ـ من الواضح أنهم قد شعروا بما حدث .. أو بشىء منه على الأقل .

انتظر بضع لحظات ، حتى سمع صوتًا يهمس :

ـ من (دلتا ـ ج) إلى (دلتا ـ ا) و(دلتا ـ ب) .. لم يتمَ العثور على الهدف بعد ، وكل شىء على ما يرام .

رفع (أدهم) أحد حاجبيه وخفضه ، ثم ضغط زر الاتصال ، وهمس :

ـ من (دلتا ـ ا) إلى (دلتا ـ ب) و(دلتا ـ ج) .. لم يتمَ العثور على الهدف بعد .. إنها مشكلة بسيطة مع حارس المبنى ، تم حلها فورًا .

لم يتلق جوابًا من الجانبين ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وغمغم :

ويحك يا (أدهم) .. من الواضح أنك لم تستخدم العبارات الصحيحة ، التى ينتظرها هؤلاء الأوغاد .

ثم عاد يتطلَّع إلى مقاتل (دلتا) الفاقد الوعى ، وهو يضيف :

ـ يبدو أنه لم يتبق أمامك سوى هذا الأسلوب .

فى نفس اللحظة التى نطق فيها عبارته ، كان مقاتلا الفريق العلوى يتحركان فى سرعة ، إلى الطابق أسفلهما ، وأحدهما يقول ، عبر موجة احتياطية ، نقل مؤشرات جهاز الاتصال اللاسلكى المحدود إليها :

ـ من (دلتا ـ ب) إلى (دلتا ـ ج) .. هناك خطأ فى الاتصال .. نشكَ فى أن (دلتا ـ ا) لم يعد له وجود .

أتاه صوت زميلهما فى الخارج ، يقول :

ـ من (دلتا ـ ج) إلى (دلتا ـ ب) هل أنضمَ إليكما ؟!

أجابه الأوَل فى صرامة :

- كلاً .. ابق فى مكانك .. لا ينبغى أن نترك ثغرة واحدة هذه المرة .

قالها ، ودسَّ جهاز الاتصال اللاسلكى المحدود فى حزامه ، ثم أشار إلى زميله ، وتحرَّك كلاهما ، يهبطان طوابق المبنى بحثًا عما أصاب الفريق الأوَّل ، و....

وفجأة ، وفى الطابق الثانى ، توقَّف الرجلان دفعة واحدة ، عندما وقع بصرهما على شخص يرتدى زيًّا مماثلاً لهما ، ويغادر حجرة المعمل ، وأشار أحدهما بيده ، يطالبه بكشف هويته ، إلا أن ذلك الشخص رفع سبَّابته إلى وجهه محذرًا ، وكأنما يدعوهما للصمت ، ثم أشار بيده إلى حجرة المعمل ، وانحنى يلصق أذنه ببابها فى حذر ..

أسلوبه هذا انتزعهما من مكانهما ، وجعلهما يتجهان نحوه مباشرة ، وما إن أصبحا على مسافة متر واحد منه ، حتى همس أحدهما :

- ماذا هناك بالضبط ؟!

لم يكد ينطقها ، حتى تحرَّك (أدهم) بسرعة مذهلة ، وهو يرتدى زى مقاتل (دلتا) ، الذى أفقده الوعى فى

الطابق السفلى ، وهوى بكعب مدفعه الآلى على وجه أحد المقاتلين ، فى نفس اللحظة التى دفع فيها المقاتل الآخر بقدمه ..

وفى لحظة واحدة ، كرر ضربته للمقاتل الأوَّل ، فى عنف أكبر ، وهو يلقى قارورة صغيرة يحملها ، نحو المقاتل الثانى ، الذى سيطر على توازنه ، ورفع مدفعه الآلى فى وجه (أدهم) ..

وفى نفس اللحظة ، التى سقط فيها المقاتل الأوَّل فاقد الوعى ، من عنف الضربتين المتلاحقتين ، انتشر من القارورة ، التى تحطَّمت على صدر المقاتل الثانى سائل لزج ، لم يكد يتعرَّض للهواء ، حتى اشتعل بغتة ، لتغمر النيران جسد المقاتل الثانى كله ..

وهنا ، ولأوَّل مرة ، منذ تسلَّلوا إلى المكان ، لم يستطيع أحد مقاتلى (دلتا) كتمان صرخة ذعر وألم ، انطلقت من حلقه ، وهو يلقى مدفعه ، ويضرب الهواء بذراعيه فى عنف ..

وبقفزة مدهشة ، التقط (أدهم) أسطوانة إطفاء الحريق ، المعلَّقة على الجدار ، وهوى بها على رأس

المقاتل الثانى فأسقطه فاقد الوعى ، ثم أطلق مسحوق الإطفاء على جسده ، لإطفاء النيران ..

وفى نفس اللحظة تقريبًا ، اقتحم المقاتل الخامس زجاج النافذة ، ورفع فوهة مدفعه نحو (أدهم) ..

وأطلق النار ..

* * *

« دقيقة واحدة ، وتنتهى المدة ، التى راهنت عليها .. »

نطق (هول) بالعبارة فى توتر ، وهو يشير إلى ساعة الحائط ، التى تطلّع إليها (ريكى) ، قائلًا فى هدوء :

ـ دقيقة ليست بالزمن القصير يا مستر (هول) .

شبّك (هول) أصابع كفيه أمام وجهه ، قائلًا :

ـ وليست بالمدة الطويلة أيضًا .

هزّ (ريكى) كتفيه ، وهو يقول :

ـ فلننتظر حتى نهايتها .

التقط (هول) جهاز الاتصال المحدود ، وهو يقول فى توتر :

ـ ومن يمكنه الاتصال ؟!

قالها ، وألقى الجهاز إلى (ريكى) الذى التقطه ، متسائلًا :

ـ ماذا ينبغى أن أفعل به ؟!

أشار (هول) بيده فى عصبية ، قائلًا :

ـ يا له من سؤال ! اتصل بفريق (دلتا) ، وسلهم عما توصّلوا إليه حتى الآن .

ابتسم (رِيكى) فى خبث ، وهو يضغط زر جهاز الاتصال ، قائلًا :

ـ من الواضح أنه لا يمكنك الصبر يا مستر (هول) .

عقد (هول) حاجبيه فى صرامة ، دون أن يجيب ، فى حين قال (ريكى) ، عبر جهاز الاتصال :

ـ من (دلتا ـ صفر) إلى (دلتا ـ ٤) .. حدّد موقفك .

جاوبه الصمت المطبق لبضع لحظات ، انعقد خلالها حاجباه فى شدة ، فى حين نقر (أورسون هول) بأصابعه على سطح مكتبه فى عصبية ، وهو يغمغم :

ـ ماذا حدث هناك بالضبط ؟!

كرَّر (ريكى) عبارته فى توتر :

ـ من (دلتا ـ صفر) إلى (دلتا ـ ٤) .. حدِّد موقفك فورًا .. هل تمَّ القضاء على الهدف أم ماذا .

أتاه هذه المرة صوت (أدهم) ساخرًا ، وهو يقول :

ـ من الهدف إلى (دلتا ـ صفر) .. أوغادك الخمسة لن يمكنهم إجابتك .. لو أن أمرهم يهمك حقًّا ، أرسل سيارة إسعاف كبيرة .

اتسعت عينا (ريكى) عن آخرهما ، عندما سمع العبارة ، فى حين وثب (هول) من خلف مكتبه ، هاتفًا :

ـ مستحيل !

حدَّق فيه (ريكى) لحظة ، بذهول تام ، فصاح (هول) فى غضب هادر :

ـ ما موقف الهليكوبتر ؟!

أدار (ريكى) مؤشر موجة الاتصال فى سرعة ، وقال :

ـ من (دلتا ـ صفر) إلى (النسر) .. حدِّد موقفك .

أتاه على الفور صوت قائد الهليكوبتر ، وهو يقول :

من (النسر) إلى (دلتا ـ صفر) .. ما زلت أدور حول مبنى المدرسةَ العليا .. لقد سمعت صوت إطلاق نيران منذ قليل ، ولكننى عاجز عن تلقِّى أية إشارة من قوة (دلتا ـ ٤) .

قفز (هول) يختطف جهاز الاتصال المحدود من يد (ريكى) ، وهتف عبره :

ـ هنا (ألفا ـ ١) .. قوة (دلتا ـ ٤) لم يعد لها وجود .. لا تسمح بخروج أى مخلوق من المدرسة العليا .. حتى ولو كان يرتدى زى قوة (دلتا) .

هتف (ريكى) :

ـ ولكن ماذا لو ....

قاطعه (هول) بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول فى صرامة :

ـ أكرِّر .. لا تسمح لأى مخلوق بالخروج من المدرسة العليا .

مرَّت لحظة من الصمت ، وكأنما يحاول طيَّار الهليكوبتر استيعاب الأمر ، ثم لم يلبث أن قال فى استسلام :

ـ كما تأمر يا (ألفا ـ ١) .

قالها ، ثم هتف فجأة فى انفعال :

ـ رباه ! إنـه أحد رجالنـا .. إنـه يخـرج مترنحًا من المدرسة ، ويشير إلىَّ بالهبوط لالتقاطه .. أطلب الإذن بالهبوط .. أكرِّر .. أطلب الإذن بالهبوط فورًا ..

صاح (هول) فى صرامة :

ـ من (ألفا ـ ١) إلى (النسر) .. غير مسموح لك بالهبوط ، أيًا كانت الأسباب .. أطلق النار فورًا ، على كل من يخرج من المدرسة العليا .. أكرِّر .. أطلق النار فورًا .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ ثم انسف المدرسة العليا كلها بصواريخك .

هتف (ريكى) فى ذعر :

ـ مستر (هول) .. إنك تذهب بعيدًا .

دفعه (هول) فى حدة ، ثم صاح عبر جهاز الاتصال اللاسلكى المحدود :

ـ هل سمعت الأوامر أيها (النسر) .. أطلق النار على كل من يغادر المدرسة العليا ، ثم انسف المبنى كله .. نفذ الأوامر فورًا أيها (النسر) .

لم يكن قائد الهليكوبتر مقتنعًا بحرف واحد مما تلقاه ، إلا أنه ، ووفقًا لتدريباته ، لم يكن يملك سوى التنفيذ ، لذا فقد دار حول نفسه دورة أفقية ، ثم صوَّب مدفعه إلى ذلك الذى يلوِّح بيده ..

وأطلق النار ..

وأمام عينيه ، شاهد رصاصاته تصيب الهدف ، وتنتزعه من مكانه ، لتلقى به ثلاثة أمتار إلى الخلف ، قبل أن يسقط جثة هامدة ..

وفى مرارة ، اعتدل الرجل بالهليكوبتر ، وغمغم فى حنق :

ـ يا للأوامر !!

نطقها ، وضغط زرًا أحمر ، فانطلق من الهليكوبتر صاروخ صغير ، نحو مبنى المدرسة مباشرة ..

ودوى الانفجار ..

وبمنتهى العنف .

* * *

١٠ـ خطة نابليون ..

على الرغم من كل ما يشعر به من توتر وإرهاق ، ومن حاجته الشديدة إلى النوم ، لم يغمض للدكتور (أحمد صبرى) جفن ، طوال ساعات الليل ، التى بدت له أشبه بدهر كامل ..

كان واثقًا من قدرات وإمكانيات شقيقه (أدهم) ، التى عايش تطوّرها يومًا بعد يوم ، منذ بدأ والدهما ـ رحمه الله ـ فى تدريبه ، وهما بعد فى سنوات عمريهما الأولى ، إلا أن القلق على مصيره ، جعله ، غير قادر على النوم ، إلى الحد الذى دفعه إلى النهوض ، والجلوس على طرف فراشه ، وهو يلهث بشدة ، وكأنما ظلّ يعدو بكل قوته طوال الليل ..

وفى توتر بلا حدود ، هزّ رأسه فى قوة ، وغمغم :

ـ لماذا يا (أدهم) ؟!

كان يدرك ، والسؤال يتجاوز شفتيه ، أنه سؤال بلا معنى أو جواب ..

لقد طالع بنفسه ما حدث ، عبر شبكات التليفزيون المختلفة ..

وباستطاعته استيعاب ما شعر به (أدهم) ..

وما دفعه لإقحام نفسه على هذا النحو ..

لقد شاهدت حادثة اغتيال ..

حادثة ، أعادت إلى ذاكرته حتمًا ما أصاب والدهما الراحل ، على يد طغمة من القتلة الصهاينة[*] الأوغاد ..

لذا ، فقد كان من المستحيل أن يقف ساكنًا ..

مهما كان الثمن ..

ومرة أخرى ، زفر الدكتور (أحمد) فى توتر ..

فالثمن هذه المرة كان فادحًا بحق ..

(*) الصهيونية : حركة سياسية ، دعت إلى إقامة دولة يهودية ، كوطن لليهود ، تزعمها (تيودور هرتزل) ، الذى دعا إلى المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧ م ، فى (بازل) بسويسرا ، وبعدها كوّن منظمات صهيونية ، فى البلاد التى تحوى عددًا كافيًا من اليهود ، ثم اتجهت أنظار الصهيونية إلى (فلسطين) ، كبداية لدولة (إسرائيل) ، التى يدعون لامتدادها ، من (الفرات) إلى (النيل) .

قوات وسلطات دولة بأكملها ، من أقوى دول العالم ، تطارد (أدهم) الآن ..

دولة ، رصدت كل قوتها ، واستعانت بأحدث تكنولوجيتها ، لحصار رجل واحد ..

صحيح أنه ليس بالرجل العادى ..

ولكنه رجل واحد ..

ولأنه واقعى الشخصية ، كان على الدكتور (أحمد) أن يعترف بدقة الموقف ، وأن يتساءل ، وهو يعيش أسوأ لحظات حياته ..

تُرى هل يمكن أن ينجو (أدهم) هذه المرة ؟!

هل ؟!

* * *

عضّ قائد الهليكوبتر الصامتة شفتيه فى مرارة ، وهو ينفذ أوامر رئيسه الأعلى (أورسون هول) ، ويطلق صواريخه نحو المدرسة العليا ، التى ما زال رفاقه داخلها ..

ومع كل ما يشعر به ، ضغط زر الإطلاق ، وأطلق صاروخا ثانيًا نحو المدرسة ..

ودوى الانفجار مرة أخرى ..

ومن بعيد ، ومع دوى الانفجار الثانى ، لاحت أصوات وأضواء سيارات الشرطة ، التى تندفع نحو المكان ..

وتوتر قائد الهليكوبتر أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وعلى الرغم من هذا ، وكجزء من طبيعة شخصيته ، التى صقلتها تدريبات شاقة ومكثّفة ، كان عليه أن يطيع الأوامر ، ويستعد لإطلاق الصاروخ الثالث ، و....

وفجأة ، اندفع ذلك الشخص ، خارج مبنى المدرسة ..

كان يرتدى زيًا من أزياء قوة (دلتا) ، ويحمل بيده حبلاً من أحبال القسم الرياضى بالمدرسة ، ويديره فى الهواء ، بأنشوطة من تلك التى اشتهر بها رعاة الأبقار ، فى الغرب الأمريكى ..

وقبل أن يستوعب الطيّار الأمر ، أو يدور بالهليكوبتر ، لمواجهة ذلك الشخص ، كان هو يلقى أنشوطته نحو الهليكوبتر ، فى سرعة ومهارة مدهشتين ..



تعلَّق الحبل بطرف القائم السفلى الأيسر للهليوكبتر ، ووثب ذلك الشخص يتعلق به ويتسلَّقه ..

وفى لحظة واحدة ، تعلَّق الحبل بطرف القائم السفلى الأيسر للهليكوبتر ، ووثب ذلك الشخص يتعلَّق به ، ويتسلَّقه بسرعة مخيفة ..

وارتبك قائد الهليكوبتر بحق ..

ارتبك ؛ لأنه لا يدرى ما الذى يمكن أن يفعله ، لمواجهة موقف كهذا ؛ فمع سرعة تسلُّق ذلك الشخص للحبل ، لم يعد باستطاعته إطلاق رصاصات مدفع الهليكوبتر نحوه ، أو يوجِّه إليه أحد صواريخها ..

ثم إن ذلك الشخص كان يتسلَّق الحبل بسرعة أكبر ..

وأكبر ..

وأكبر ..

لذا ، فقد جذب الرجل عصا الهليكوبتر ، وارتفع بها لعدة أمتار ، قبل أن يندفع نحو مبنى المدرسة العليا ، الذى اشتعلت فيه النيران ..

كان يسعى لتجاوز المبنى ، من ارتفاع منخفض للغاية ، بحيث يرتطم متسلِّق الحبل بالمبنى المشتعل ..

وبمنتهى القوة ..

ولقد أدى حركته بمهارة حقيقية ..

ولكن المتسلِّق لم يرتطم بالمبنى المشتعل ..

ففى نفس اللحظة ، التى بلغت فيها الهليكوبتر المبنى ، كان المتسلِّق قد أصبح داخل الهليكوبتر بالفعل ..

وبكل ذعره وتوتره ، جذب الطيَّار عصا القيادة بيسراه ، ليرفع مرة أخرى بالهليكوبتر ، فى نفس اللحظة التى اختطف فيها مسدسه بيمناه ، وأداره نحو (أدهم) ، الذى ركل المسدس بحركة سريعة قوية ، وهو يقول ساخرًا :

ـ ليس بهذه البساطة .

وبسرعة مدهشة ، أحاط ساعده الفولاذى بعنق الرجل ، فى حين قبضت يده الأخرى على عصا القيادة ، ليبتعد بالهليكوبتر عن المكان ، فى نفس اللحظة التى ظهرت فيها سيارات الشرطة فى الأفق ..

وفى واحدة من تلك السيارات ، هتف (موريس) ، وهو يشير إلى السماء فى عصبية :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

ألقى سائقه نظرة على السماء المظلمة ، وهو يتساءل فى حيرة :

ـ ماذا تعنى يا سيِّدى ؟!

كانت الهليكوبتر السوداء الصامتة تنطلق مبتعدة ، وسط السماء المظلمة ، على نحو جعل من العسير ، إن لم يكن من المستحيل متابعتها ، فهزَّ (موريس) رأسه فى توتر ، مغمغمًا :

ـ تصوَّرت أنها .. أنها ..

ارتج عليه بضع لحظات ، قبل أن يهزّ رأسه ، مستطردًا فى عصبية :

ـ لا عليك ..

واصل السائق طريقه ، حتى توقَّف أمام مبنى المدرسة العليا المشتعل ، فى نفس اللحظة التى وصلت فيها سيارات الإطفاء والإسعاف ، واندفع الرجال منها إلى الجزء المتبقى من المبنى ، لإسعاف من يمكن إسعافه ، والسيطرة على النيران المشتعلة ، قبل أن تمتدّ إلى باقى المكان ..

وفى عصبية ، هتف قائد الشرطة :

ـ أية ليلة هذه ؟! هل اندلعت حرب حقيقية ؟!

أجابه (موريس) فى غضب :

ـ إنه المسئول .. أراهن أنه المسئول .

التفت إليه قائد الشرطة ، صائحًا فى حدة :

ـ على الرغم من أن الأمر يتجاوز حدود العقل والمنطق ، إلا أنه لو كان كل ما نراه بسبب ذلك الأجنبى ، الذى تطارده بكل عناد وإصرار ، فهذا يعنى أنك المسئول رقم واحد أيها الفيدرالى .

ثم مال نحوه ، متابعًا فى صرامة غاضبة :

ـ ولتعلم أن سلطاتك لا تعفيك من المسئولية الجنائية ، وخاصة عندما أقدِّم وكل رجالى ، تقريرًا يدين تعنتك السخيف هذا ، وخشيتك من مواجهة الحقيقة .

سأله (موريس) فى عصبية :

ـ أية حقيقة ؟!

صاح قائد الشرطة :

ـ حقيقة أنه ليس القاتل ، أيًا كانت قدراته ومهاراته ، وأنك تفعل ما تفعل ، لأنك عاجز عن توجيه الاتهام ، أو متابعة القاتل الفعلى .

ازدرد (موريس) لعابه فى عصبية ، دون أن يجيب ، فتابع قائد الشرطة فى غضب :

ـ مخابراتنا يا رجل .

هتف (موريس) ، فى لهجة جاءت ـ على الرغم منه ـ متخاذلة :

ـ هل تصدقُ أن مخابراتنا يمكن أن تفعل هذا ؟!

تراجع قائد الشرطة ، وشدَّ قامته فى اعتداد ، وهو يجيب فى صرامة :

ـ ولِمَ لا ؟!

جاء الجواب المتسائل أشبه بصفعة على وجه (موريس) ..

صفعة ، جعلت كيانه كله يرتجّ ، وهو يطرح السؤال ذاته على نفسه ..

نعم .. ولِمَ لا ؟!

تجمَّد فى مكانه بضع دقائق ، بعد سؤال قائد الشرطة ، وعيناه تحدقان فى المبنى الذى خبت نيرانه أو كادت ، مع جهود رجال الإطفاء ..

ثم فجأة ، انعقد حاجباه فى شدة ..

انعقدا ، عندما وقع بصره على مقاتل (دلتا) الصريع ، على مسافة أمتار قليلة من المبنى ، وعلى المقاتلين الآخرين ، اللذين يحملهما رجال الإسعاف خارجًا ، مع حارس المبنى ..

واندفع (موريس) نحو رجال الإسعاف ، وانحنى يفحص أجساد المقاتلين ، وزيهم المميَّز ، قبل أن يعتدل ، قائلاً فى توتر :

ـ قوة (دلتا) !

قالها ، ثم استدار ، واندفع نحو سيارته ، فهتف به قائد الشرطة :

ـ إلى أين ؟!

توقَّف لحظة ، والتفت إليه ، مجيبًا فى صرامة :

ـ لقد أقنعنى منطقك يا رجل ، وقرَّرت أن أنقل المطاردة والحصار إلى القاتل الحقيقى .

ووثب داخل سيارته ، وصاح فى سائقها :

ـ هيا بنا .

أدار الرجل محرك السيارة ، وانطلق بها على الفور ، وهو يتساءل :

ـ إلى أين نذهب ؟!

أجابه فى حزم :

ـ سنعود إلى مكتبى .. إلى (نيويورك).

بدا الارتياح على وجه الرجل وصوته ، وهو يغمغم :

ـ عظيم .

قالها ، واستدار بالسيارة ، وانطلق يقطع الطريق ، عائدًا إلى (نيويورك) ، فى حين ألقى (موريس) نظرة على ساعة يده ، ، التى أشارت إلى الثالثة والنصف ، وهو يغمغم :

ـ ولكن كيف ؟! كيف ؟!

حاول أن يسترخى فى مقعده ، وأن يبحث عن وسيلة لمواجهة الموقف ، كما ينبغى له أن يفعل ..

ولكنه لم يستطع أبدًا ..

فوجود مقاتلى (دلتا) فى موقف الحادث الجديد ، كان يعنى الكثير ..

الكثير جدًا ..

كان يعنى أن المخابرات متورِّطة فى الموقف بالفعل ..

وبشدة ..

لقد تدرَّب فترة كافية ، فى مقر المخابرات المركزية ، فى (لانجلى) ، ويدرك جيدًا أن قوة (دلتا) هى السلاح السرى ، ووسيلة الردع المثلى ، التى تحتفظ بها المخابرات الأمريكية ، للتدخل العنيف ، إذا ما اقتضت الظروف هذا ..

ولكن ليس من المفترض قط أن يحدث هذا ، داخل حدود الولايات المتحدة الأمريكية .. فطبقًا للقوانين الأمريكية ، لا يحق للمخابرات المركزية التدخل فى شئون البلاد الداخلية ، مهما كانت الأسباب(*)..

(*) حقيقة ..

إذن فقد تجاوزت المخابرات حدودها ..

وهذا لا يحدث ، ولا يمكن أن يحدث ، إلا إذا كانت تحاول إخفاء شىء ما .. أو جريمة ما ..

أغلق عينيه ، وجسده كله يشعر بإرهاق بلا حدود ، ضاعفه توتره العصبى البالغ ، وترك السيارة تنطلق ، وذهنه يبحث عن حل منطقى لما يحدث ..

نصف ساعة كاملة ، انطلقت خلالها السيارة ، حتى بلغت بدايات النفق ، و....

« يا إلهى ! ما هذا بالضبط ؟! »

هتف السائق بالعبارة ، ففتح (موريس) عينيه ، واعتدل فى مقعده بحركة حادة ، ثم حدَّق فى الهليكوبتر السوداء ، التى يشير إليها السائق ، قبل أن يهتف فى صرامة :

ـ قف .

قبل حتى أن يتوقَّف السائق تمامًا ، وثب هو خارج السيارة ، واندفع نحو هليكوبتر قوة (دلتا) ، التى أحاط بها رجال الشرطة ، وأخرج هويته ، هاتفًا :

ـ الضابط (موريس) ، من الشرطة الفيدرالية .. أفسحوا الطريق .

أفسح رجال الشـرطة الطـريق له بالفعل ، فحدّق داخل الطائرة ، فى الطيَّار الفاقد الوعى ، والمقيَّد بحبل سميك ، قبل أن يغمغم فى عصبية :

ـ قوة (دلتا) .

ثم سأل أحد رجال الشرطة فى توتر :

ـ كيف عثرتم عليها ؟!

لوَّح أحدهم بيده ، قائلاً :

ـ لقد هبطـت هنـا ، واستقرَّت فـى موضعهـا ، وعندمـا هرعنا إليها ، فوجئنا بالطيـار مقيَّدًا داخلهـا ، ولسنـا نعلم من قادها إلى هنا بالضبط .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يغمغم :

ـ أنا أعلم .

اعتدل ، وتطلَّع إلى النفق فى توتر ، مضيفًا :

ـ لقد عاد .

كان يدرك أن الهبوط بالطائرة هنا ، هو رسـالة خاصـة له ..

رسالة تركها الأجنبى ؛ ليدلِّل على براعته ..

وعلى تورُّط المخابرات الأمريكية ..

رسالة تكفى ليفهم هو ..

لا لأن يحصل على دليل إدانة كاف ..

وبكل الحنق ، هتف برجال الشرطة :

ـ تحفَّظوا على الهليكوبتر والطيَّار ، حتى يتـم استجوابه ، وتحديد سبب ما حـدث .. سأرسل إليكم من يتولَّى الأمر فورًا .

وأسرع الخطى ، عائدًا إلـى سيارته ، وهنـاك التقـط جهاز الاتصال اللاسلكى ، وقال فى حزم :

ـ الضابط (فيليب) .. أجب .. الضابط (موريس) يطلب الضابط (فيليب) ..

أتاه صوت (فيليب) ، متسائلاً :

ـ ماذا هناك ؟! هل تعرف كم الساعة الآن يا (موريس) ؟!

أجابه (موريس) فى حدة :

ـ نعم .. أعلم أيها المتحذلق .. والآن هيا .. انتزع نفسك من فراشك ، واستقلّ سيارتك ، لتعبر النفق إلى (نيو جيرسى) ، وستجد هناك هليكوبتر ، أريد معرفة كيف وصلت إلى هناك ، ولمن تتبع بالضبط .. هل تفهم ؟! افعل هذا فورًا ولا تناقش ، وأبلغنى تقريرك بأسرع وقت ممكن .. هيا .

وأنهى الاتصال ، قبل أن يمنح زميله فرصة للمناقشة ، فسأله السائق بابتسامة هادئة :

ـ هل نواصل الطريق إلى المكتب ؟!

أجابه (موريس) فى عصبية :

ـ بالتأكيد .

انطلق السائق مرة أخرى بالسيارة ، وهو يبتسم ابتسامة باهتة ، فى حين انعقد حاجبا (موريس) ، وهو يرتب الأحداث فى ذهنه ، ويبحث عن وسيلة لاقتحام الأمر ..

ولم يتوقَّف عقله عن التفكير فى هذا لحظة واحدة ، حتى وصلت به السيارة إلى مكتبه ، الذى صعد إليه فى

شرود ، وفتح بابه بمفتاحه الخاص ، ثم دلف إليه ، ولم يكد يشعل الأضواء ، حتى سمع صوتًا هادئًا ، يقول :

ـ لماذا تأخَّرت هكذا ؟!

استدار (موريس) بكيانه كله إلى مصدر الصوت ، ثم اتسعت عيناه عن آخرهما ، وتراجع بحركة حادة ، ليلتصق بباب الحجرة ..

فهناك ، وخلف مكتبه الخاص ، كان يجلس آخر رجل يتصورَّ رؤيته ، فى هذه اللحظة ..

(أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

* * *

« الهجوم خير وسيلة للدفاع .. »

نطق (ريكى) العبارة ، فى توتر شديد ، فانعقد حاجبا (هول) عن آخرهما ، وهو يقول :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابه (ريكى) بنفس التوتر :

- إنها عبارة مألوفة للقائد الفرنسى (نابليون بونابرت) ، تشير إلى أن الهجوم على الخصم هى أفضل وسيلة لبدرء خطره ، والدفاع عن النفس ، ضد ما يمكن أن يفعله .

سأله (هول) فى عصبية :

وما الذى يعنيه هذا ؟!

هزّ (ريكى) رأسه فى توتر ، مجيبًا :

- لست أدرى .. لقد كنت اتصل بالنسر ، لمعرفة موقفه بعد تنفيذ ما أمرناه به ، ففوجئت بذلك الأجنبى يجيبنى ، من داخل النسر ، ويقول هذه العبارة ، بكل سخرية الدنيا .

ازداد انعقاد حاجبى (هول) ، وهو يقول فى عصبية :

- إنه يسخر منا .

قال (ريكى) بصوت مرتجف :

- إنه ليس شخصًا عاديًا .

صاح فيه (هول) بغضب :

- هل بدأت تشعر بالخوف منه ؟!

لوّح (ريكى) بذراعه قائلاً :

- ألا تشعر أنت بهذا ؟! إنه ليس مقاتلاً عاديًا بالتأكيد .. لقد أرسلنا إليه فريقًا من أقوى رجالنا ، ولكنه هزمهم ، واستولى على الهليكوبتر ، ثم وجد فى نفسه الثقة والجرأة ليسخر منا مباشرة ، ويهددنا بأنه لن يواصل الدفاع ، وإنما سينتقل إلى مرحلة الهجوم ! هل يمكنك استيعاب هذا ؟! هل يمكنك ..

قاطعه (هول) فى حدة :

- كفى .

ونهض من خلف مكتبه ، وراح يدور فى حجرته فى عصبية ، قائلاً :

- ربما كان ذلك الأجنبى قويًا وبارعًا أكثر مما تصوّرنا ، ولكن هذا لا يعنى أنه قادر على مواجهتنا والتصدّى لنا .. اهدأ أيها الغبى .. اهدأ وتماسك ، وثق بأننا أقوى من مجرّد رجل واحد ، وإلا ما كان لنا وجود ، منذ زمن طويل .

ثم عاد إلى مكتبه ، متابعًا فى حدة :

- لقد فقدنا أثره فى الوقت الحالى ، ولكنه سيعود للظهور حتمًا ، لو أنه يسعى لإثبات براعته ، وعندئذ سنظفر به .

ورفع عينيه إلى عينى (ريكى) مباشرة ، وهو يستطرد :

ـ أما أنت ، فمن الواضح أن أعصابك متوترة أكثر مما ينبغى ، لذا فأفضل ما تفعله هو أن تعود إلى منزلك ، وتحظى بقدر من النوم ، قبل أن تنهار تمامًا ، ولا تصلح لمواصلة العمل .

سأله (ريكى) فى عصبية :

ـ ولكن من سيتولَّى الأمر ؟!

ضغط (هول) زرًا على مكتبه ، وهو يجيب فى صرامة :

ـ الشخص الأفضل منك .

انعقد حاجبا (ريكى) فى توتر ، عندما دلف (رامون) إلى الحجرة ، بقامته الطويلة النحيلة ، وهو يقول ببروده المستفز :

ـ رهن إشارتك يا مستر (هول) .

أشار (هول) إلى (ريكى) إشارة صارمة ، قائلاً :

ـ هيا .. انصرف أنت .. عد إلى بيتك .

أدرك (ريكى) أن (هول) لا يرغب فى وجوده ، فى الوقت الحالى ، لذا فقد غمغم فى توتر عصبى :

ـ فليكن .

ألقى نظرة غاضبة على (رامون) قبل أن يتجه نحو الباب ، ثم يتوقَّف هناك ، قائلاً فى توتر :

ـ لو أنك أردت عودتى ، فـ....

قاطعه (هول) فى صرامة :

ـ بالتأكيد .

ألقى (ريكى) نظرة أخرى على (رامون) ، تفيض بالمقت والغضب ، قبل أن يغادر الحجرة ، ويغلق بابها خلفه فى هدوء ..

وفور انصرافه ، التفت (هول) إلى (رامون) قائلاً :

ـ الأمور تتطوَّر على نحو لا يروق لى قط يا (رامون) .

أجابه (رامون) فى برود حازم :

ـ أوامرك يا مستر (هول) .

لوَّح (هول) بكفه ، وقال فى توتر :

- ذلك الأجنبى استولى على طائرتنا يا (رامون) ، وألقاها عند النفق ، وبداخلها طيّارها مقيّدًا ، ثم أخبرنا أن الهجوم هو خير وسيلة للدفاع ، وهذا يعنى أنه يسخر منا ، ويجد فى نفسه الجرأة على تهديدنا أيضًا .

ظلَّ (رامون) صامتًا باردًا ، و(هول) يتابع :

- هناك ضابط فيدرالى ، يدعى (موريس) ، يتابع الموقف كله منذ البداية ، ويحاصر ذلك الأجنبى طوال الوقت ، وذلك الضابط تلقّى تدريبات هنا فى (لانجلى) ، ومن المؤكد أنه سيتعرّف طائرة قوة (دلتا) على الفور ، وسيدفعه هذا إلى الشك فى أمر تورُّطنا فى حادث الاغتيال ، وربما حاول إثبات هذا أيضًا .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، مضيفًا :

- وهذا الضابط الفيدرالى أصبح مصدر خطر لنا يا (رامون) .

شدّ (رامون) قامته ، قائلاً فى برود :

- يمكننا أن نعمل على تصفيته يا مستر (هول) .

أشار إليه (هول) إشارة صارمة ، قائلاً :

- وبأسرع وقت ممكن .

ابتسم (رامون) ابتسامة باردة ، وقال :

- أمرك يا مستر (هول) ..

قالها ، ودار على عقبيه ، وغادر المكان لتنفيذ الأمر ..

أمر القتل ..

وبلا رحمة ..

* * *

١١ـ الصباح التالى ..

ارتشف (أحمد صبرى) رشفة من قدح القهوة المركزة ، وهو يستعد لدخول حجرة التعقيم ، الملحقة بحجرة جراحات المخ والأعصاب ، والتقط نفسًا عميقًا ، فى محاولة لتبديد قلقه ، وتركيز أفكاره على العملية الجراحية ، التى سيشارك فيها بعد لحظات ..

كانت عقارب الساعة تشير إلى التاسعة ، وذلك القلق لم يفارق كيانه بعد ..

القلق على شقيقه الوحيد ..

صحيح أنه لا توجد أخبار جديدة ، منذ إعلان العثور على هليكوبتر مجهولة ، وأنباء القصف الذى تعرَّضت له تلك المدرسة العليا ، فى (نيو جيرسى) ، وصحيح أنه هناك عبارة أمريكية شهيرة تقول : « انعدام الأخبار يعنى أخبارًا جيِّدة » ، إلا أنه ما زال لا يشعر بالارتياح ..

وما زال يتساءل عن مصير (أدهم) !!

وعما يواجهه !!

كان يرتشف رشفة أخرى من قدح القهوة ، عندما اندفع زميله الدكتور (توفيق) إلى المكان ، قائلاً :

ـ (أحمد) .. هل سمعت آخر الأخبار ؟!

انتفض جسد (أحمد) ، وهو يسأل :

ـ ماذا حدث ؟!

أجابه (توفيق) فى حماسة :

ـ مذيعة الأخبار (ريتا إدواردز) قالت : إنها تقوم حاليًا ، مع فريق من الفنيين ، بمحاولة تكبير لقطات فيلم المطاردة ؛ لإثبات أن الشخص ، الذى تطارده الشرطة منذ أمس ، ليس هو من حاول اغتيال الزعيم الإفريقى ، وإنما هو الشخص الذى قاتل لإنقاذه .

هتف (أحمد) فى لهفة :

ـ حقًا ؟!

ربَّت (توفيق) على كتفه فى حرارة ، قائلاً :

ـ مرحى يا رجل .. يبدو أن الأزمة ستنفرج أخيرًا .. (ريتا) تؤكد أيضًا أنها ستذيع مفاجأة ، خلال بضع ساعات .. مفاجأة تقول : إنها ستهزّ المجتمع كله .

تصاعدت نبرة الأمل فى أعماق (أحمد) ، وهو يغمغم :

- يا إلهى ! يا إلهى !

ثم نهض من مكانه ، وتخلَّى عن قدح القهوة ، مكملاً :

لا يمكنك أن تتصورّ ، كيف أن هذه الأخبار قد وصلت فى موعدها يا صديقى .

والتقط نفسًا عميقًا ، ملأ به صدره كله ، قبل أن يضيف :

سيساعدنى هذا كثيرًا .

قالها ، ودلف إلى حجرة التعقيم ، وقد استعاد الكثير من تماسكه ، وإن ظلّ عقله يطرح على نفسه السؤال ذاته ..

تُرى كيف يمكن أن يفيد هذا (أدهم) ؟!

وكيف يمكن أن ينجو من كل ما تورَّط فيه ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

* * *

تطلَّع رجل الشرطة الفيدرالى (فيليب) إلى (رامون) فى ضجر واضح ، فى مقر الشرطة الفيدرالية فى (نيويورك) ، وتثاءب وهو يرفع ساقيه على سطح مكتبه ، متسائلاً :

- لماذا تريد مقابلة الضابط (موريس) ؟!

بدا (رامون) باردًا كلوح من الثلج ، وهو يجيب :

- إننى أحمل إليه رسالة .

سأله (فيليب) فى لا مبالاة :

- ممن ؟!

أجابه (رامون) فى برود مقتضب :

- من صديق .

مطَّ (فيليب) شفتيه ، وكأنما لم يرق له الجواب ، ثم لم يلبث أن هزَّ كتفيه ، وقال فى لهجة يغلب عليها النعاس :

- فليكن .. عد فى المساء إذن .

سأله (رامون) ، وهو يتحسَّس مسدسه ، المختفى تحت أبطه :

ـ ولماذا ليس الآن ؟!

تثاءب (فيليب) مرة أخرى ، وهو يجيب :

ـ لأن (موريس) ليس هنا .

نهض (رامون) قائلاً :

ألم يأت من منزله بعد ؟!

هزَّ (فيليب) رأسه فى ضجر ، وأسبل جفنيه فى تكاسل مرهق ، وهو يقول :

بل لم يعد إلى منزله بعد .

صمت لحظة ، على نحو يوحى بأنه سيكتفى بهذا الجواب ، خاصة وأن هيئته كانت توحى بأنه غارق فى سبات عميق ، قبل أن يكمل فى خفوت :

ـ لقد سافر إلى (لانجلى) .

وعلى الرغم من برود (رامون) الشهير ، وجد نفسه يهتف فى دهشة :

ـ (لانجلى) ؟!

أومأ (فيليب) برأسه إيجابًا ، وغاص برأسه بين كتفيه ، قائلاً :

ـ نعم .. ذهب يستجوب أحد رجال الشركة هناك .

ظلَّت ملامح (رامون) جامدة باردة ، وهو يقول :

ـ فليكن .. سأعود إليه فى المساء .

قالها ، واتجه نحو المخرج ، فأشار (فيليب) بيده ، وهو يفتح عينيه ، متسائلاً :

ـ ما الاسم الذى أبلغه به ؟!

تحسَّس (رامون) مسدسه مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ لا داعى .. فلنجعلها مفاجأة له ..

غادر المكان كله فى برود عجيب ، واتجه إلى سيارته ، ولم يكد يدلف إليها ، حتى التقط هاتفها ، وطلب رقمًا خاصًا ، وما إن سمع صوت محدِّثه ، حتى قال :

ـ مستر (هول) .. أنا (رامون) .. الصيد لم يعد فى (نيويورك) .. إنه فى طريقه إليك .

هتف (هول) فى دهشة عصبية :

ـ إلىَّ أنا ؟! ماذا تعنى ؟!

أجابه (رامون) ، وهو يراقب مدخل المبنى الفيدرالى :

ـ زميلـه أخبرنـى أنـه فى طريقـه إلـى (لانجلـى) ؛ للتحقيق مع أحد الرجال هناك .

انعقد حاجبا (هول) فى شدة ، وتوترت أصابعه على سمَّاعة الهاتف ، وهو يهتف :

ـ ماذا ؟!

ولكن عقلـه انطلق يعمل فـى سرعة ، ويعيـد ترتيب الأحداث ويمنطقها ، قبل أن يستطرد فى حزم متوتر :

ـ ربما يشكّ فى تورُّط المخابرات المركزية بالأمر ، بعد أن رأى رجال قوة (دلتا) ، الذين أخطئوا بارتداء زيهم الرسمى المميَّز ، فى مهمة كهذه ، ولكن من المستحيل أن يربط كل هذا بى شخصيًّا .

سأله (رامون) :

ـ إلى من ذهب إذن ؟!

صاح (هول) فى حدة :

ـ وما شأننا نحن بهذا ؟!

ثم أضاف فى صرامة :

اسمع يا (رامون) .. من الناحية القانونية ، نحن نظيفون تمامًا .. هل تفهم ؟! تمامًا .

لم يكد ينهى الاتصال ، بعد عبارته الأخيرة ، حتـى فوجئ بصوت مسئول الاستقبال ، ينبعث من جهاز الاتصال الداخلى ، قائلاً :

ـ مستر (هول) .. هنا ضابط فيدرالى يُدعى (موريس) ، يطلب ، مقابلتك فورًا ، ويقول : إنه أمر عـاجل ، لا يمكن تأجيله .

انعقد حاجبا (موريس) ، فى توتر شديد ، قبـل أن يضغط زر الاتصال ، ويقول بصـوت ، حـاول أن يجعلـه هادئًا بقدر استطاعته :

ـ ألم يحدِّد هذا الأمر ؟!

أجابه مسئول الاستقبال :

ـ كلاً .. يقول : إنه يفضّل التحدُّث فيه إليك مباشرة .

عضَّ (هول) شفته السفلى لحظة ، قبل أن يستعيد ذلك الصوت الهادئ الزائف ، قائلاً :

فليكن .. تأكَّد من هويته ، ثم دع أحدهم يرافقه إلى هنا ، وتأكَّد من أنه لا يحمل سلاحًا .

أنهى الاتصال ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يدرس هذا التطوّر المباغت ..

لماذا يطلب الضابط (موريس) مقابلته ؟!

لماذا هو بالذات ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

لماذا لم يطلب مقابلة مدير المخابرات ؟!

لماذا أصرَّ على مقابلته هو شخصيًا ؟!

أمن الممكن أن يكون قد عثر على طرف خيط ، وسط كل هذه الأحداث ، يمكن أن يقوده إليه ؟!

راجع كل التصرفات السابقة فى سرعة ، قبل أن يهزّ رأسه ، مغمغمًا فى توتر عصبى بالغ :

ـ مستحيل !

كان واثقًا من أن كل شىء قد تم دون اتصال مباشر واحد منه ، سوى ذلك الاتصال الذى تمّ مع قائد الهليكوبتر الصامتة ، والذى يجهل تمامًا من ذلك الذى يُرمز إليه بالرمز (ألفا ـ ١) ..

وحتى هذا الرمز ، لا يخصه هو من الناحية الرسمية ..

إنه الرمز الخاص بمدير المخابرات المركزية الأمريكية ..

وهذا يعنى أنه ، بخلاف (ريكى) و (رامون) ، لا يوجد طرف خيط واحد ، يمكن أن يقود إليه ..

ومع حاجبين معقودين ، تراجع فى مقعده ، وراح عقله يسبح في اتجاه جديد ..

(ريكى) و (رامون) صارا بالفعل شوكة فى ظهر سرية الأمر ..

وربما كان (رامون) قويًا متماسكًا ، ولكن (ريكى) أثبت أنه الأكثر ضعفًا ، وأنه يمكن ـ على الرغم من صلابته الظاهرية ـ أن ينهار تمامًا ، تحت وطأة الضغوط العصبية المتوالية ..

ثم إنه يفقد ثقته بنفسه بسرعة ، إذا ما واجه مهارة الخصم ..

وهذا يعنى أنه لم يعد مأمونًا ..

ولا بد من التخلُّص منه ..

وفورًا ..

امتدَّت يده بحركة آلية إلى الهاتف ؛ ليبلغ (رامون) أوامره الجديدة ، لولا أن طرق أحدهم باب حجرة مكتبه فى هذه اللحظة ، فأعاد يده إلى جواره فى سرعة ، وهو يقول :

ـ ادخل .

مضت لحظة من السكون ، قبل أن يفتح الباب فى هدوء ، ويظهر على عتبته أحد رجاله ، قائلاً :

ـ الضابط (موريس) يا مستر (هول) .

أشار إليه (هول) ، قائلاً :

ـ دعه يدخل .

دخل الضابط (موريس) الحجرة فى هدوء ، وهو يحمل مدفعه على ذراعه ، فنهض (هول) ، من خلف مكتبه ، وتابع حديثه مع الرجل فى صرامة :

ـ انتظر بالخارج ، ولا تسمح لأى مخلوق بالانصراف ، ما لم آمر بهذا .

ارتسمت ابتسامة هادئة على شفتى (موريس) ، والرجل يقول فى صرامة مماثلة لرئيسه :

ـ أوامرك يا مستر (هول) .

وغادر المكان ، وأغلق الباب خلفه فى إحكام ..

وهنا فقط مدَّ (هول) يده إلى (موريس) ، قائلاً :

ـ تفضل أيها الضابط .

تجاهل (موريس) اليد الممدودة إليه ، وهو يتجه إلى المقعد المقابل لمكتب (هول) ، ويجلس عليه فى هدوء ، قائلاً :

ـ السيِّد (أورسون هول) ، نائب رئيس المخابرات الأمريكية .. أليس كذلك ؟!

جلس (هول) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ أنت طلبت مقابلتى .

استرخى (موريس) فى مقعده ، وهو يقول :

ـ أردت أن ألقى عليك بعض الأسئلة .

سأله (هول) فى حذر :

ـ بشأن ماذا ؟!

مال (موريس) نحوه ، وأجاب على نحو حازم مباشر :

ـ بشأن تورُّط المخابرات المركزية الأمريكية ، فى محاولة اغتيال الزعيم الإفريقى ، رائد حركة التحرير .

انعقد حاجبا (هول) فى شدة ، وهبَّ من مقعده بحركة حادة ، هاتفًا :

ـ كيف تجرؤ ؟!

أشار إليه (موريس) فى صرامة ، قائلاً :

ـ اجلس يا مستر (هول) .. اجلس .. سؤالى لم ينته بعد .

صاح (هول) فى حدة :

ـ هل ستواصل هذه المهزلة ؟!

أجابه (موريس) فى صرامة :

ـ بالتأكيد ، فما زلت أسألك : لماذا أرسلتم رجلكم (جاك) ؛ لاغتيال الزعيم الإفريقى ، ثم تخلصتم منه بعدها ، حتى لا ينكشف أمركم ؟!

انعقد حاجبا (هول) فى شدة ، فتابع (موريس) بنفس الصرامة :

ـ ثم لماذا أرسلتم بعدها فريقًا من القوة (دلتا) ، لمطاردة رجل ، تعلمون جيِّدًا أنه برىء ، من التهمة المنسوبة إليه .

حدَّق (هول) فى وجهه لحظة ثم فتح درج مكتبه فى سرعة ، واختطف منه مسدسه ، وصوَّبه إلى الرجل ، هاتفًا فى حدة :

ـ أنت لست الضابط (موريس) .

نهض (موريس) فى هدوء ، وقال :

ـ بالتأكيد يا مستر (هول) .. أنا لست الضابط (موريس) .

ثم انتزع قناعًا مطاطيًا رقيقًا عن وجهه ، مضيفًا فى صرامة ، لا تخلو من رنة ساخرة :

ـ أنا الرجل الذى أجهدت الجميع بالبحث عنه ، طوال الليلة الماضية .

اتسعت عينا (هول) عن آخرهما ، وهو يحدّق فى آخر وجه تمنى رؤيته ، فى هذا الصباح ..

وجه خصمه الرئيسى ..

(أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

* * *

جلس (رامون) داخل السيارة صامتًا ساكنًا ، كلوح حقيقى من الثلج ، دون أن يرفع عينيه عن المبنى الفيدرالى لحظة واحدة ..

كان طرازًا نادرًا من القتلة المحترفين ..

طراز لا يمكن أن يتراجع عن تنفيذ مهمة قط ..

مهما كان الثمن ..

طراز اعتاد تنفيذ الأوامر بمنتهى الدقة ، والبراعة ، والإتقان ..

ورجل مثله كان من الطبيعى أن يقف بسيارته أمام المبنى الفيدرالى لساعات وساعات ، دون كلل أو ملل ، حتى يصل الهدف ..

ويقوم بتصفيته ..

ولكن فجأة ، سمع من ناحية النافذة الأخرى صوتًا يقول :

ـ لن يأتى من هذه الناحية .

استدار (رامون) فى سرعة إلى مصدر الصوت ، وانعقد حاجباه فى شدة ، عندما وقع بصره على الضابط (موريس) ، الذى يصوّب إليه مسدسه ، مستطردًا :

ـ لأنه هنا .

قفزت يد (رامون) فى سرعة إلى مسدسه ، ولكن فوهة باردة التصقت بصدغه ، من الناحية الأخرى ، مع صوت (فيليب) الصارم ، المفعم بالحيوية والنشاط ، وهو يقول :

ـ افعلها يا رجل .. هيا .. اسحب مسدسك ، لتمنحنى الحق فى نسف رأسك بلا رحمة .

انعقد حاجبا (رامون) ، ورفع ذراعيه ، وهو يقول ، بنفس اللهجة الباردة :

ـ ماذا تريدان بالضبط ؟!

أجابه (فيليب) فى صرامة :

ـ أنت يا رجل .. أنت أفضل صيد وقعنا عليه منذ صباح أمس .

قال (رامون) فى برود :

ـ أنتما مخطئان بالتأكيد ، فأنا رجل مخابرات ، ويمكننى إطلاعكما على هويتى الرسمية .

أجابه (موريس) ، بلهجته الصارمة الساخرة :

ـ لا داعى لهذا يا رجل .. نحن واثقان من هويتك ، ولكننا نرغب فى التحدُّث إليك قليلاً .

وأضاف (فيليب) :

ـ والآن هيا .. اخرج من السيارة فى بطء ، واستدر ، و....

قبل أن يتمّ عبارته ، أبعد (رامون) رأسه فجأة ، وهو يدفع الباب المجاور له ، فى وجه (فيليب) ، الذى أخذته المفاجأة ، فسقط على ظهره فى عنف ، فى نفس اللحظة التى سحب فيها (رامون) مسدسه ، بسرعة مدهشة ، وأطلق النار نحو (موريس) ..

واخترقت رصاصة (رامون) زجاج السيارة الأيمن ، واخترقت ذراع (موريس) ، الذى أطلق سبابًا ساخطًا ، وهو يتراجع بحركة حادة ، أسقطته على ظهره بدوره ..

وفى لحظة واحدة ، وثب (رامون) خارج السيارة ، وركل المسدس الذى يحمله (فيليب) ، ثم صوَّب مسدسه نحو الأخير ..

وأطلق النار ..

وشهق (فيليب) ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، عندما اخترقت الرصاصة صدره ، فى حين انطلق (رامون) يعدو بأقصى سرعته ..



كانت ذراعه تؤلمه بشدة ، إلا أنه ارتكن بها على مقدمة السيارة ، وصوَّب مسدسه فى إحكام إلى (رامون) ..

وبقفزة واحدة ، هبَّ (موريس) واقفًا على قدميه ، وهو يصرخ :

ـ أيها الوغد .

كانت ذراعه تؤلمه بشدة ، إلا أنه ارتكن بها على مقدمة السيارة ، وصوَّب مسدسه فى إحكام إلى (رامون) ، الذى حاول أن يختلط بالمارة ، الذين أصابهم الذعر ، مع دوى الرصاصات ..

ولكن (موريس) ضغط زناد مسدسه ..

وانطلقت رصاصته تشق طريقها ..

نحو الهدف مباشرة ..

واتسعت عينا (رامون) فى ألم وارتياع ، عندما غاصت رصاصة (موريس) فى مؤخرة عنقه ، وسقط ذراعاه ، بعد أن فقد اتصالهما بغتة ، بكل الأعصاب الحركية والحسية ..

ثم هوى على الأرض ، وهو يطلق شهقات مخيفة ، وعيناه متسعتان فى ذعر بلا حدود ..

فعلى الرغم من أنـه لم يقصـد هذا ، إلا أن رصاصـة (موريس) أصابت (رامون) بكسر فى الفقـرة العنقيـة ، وتمزُق فى النخاع الشوكى ..

وكان هذا يعنى حالة من الشلل ..

الشلل التام ..

والأبدى ..

وبكل ذعره ، هتف (موريس) بزميله :

ـ (فيليب) .. هل ....

قاطعه (فيليب) ، وهو يتلوّى ألمًا :

ـ لم يفعلها .. ذلك الوغد لم يفعلهـا ، على الرغـم من المسافة القصيرة بيننا .. ولكن الألم لا يطاق يا صديقى .. يا إلهى ! الألم رهيب .

التقط (موريس) جـهاز الاتصـال فى سرعـة ، وهتف عبره :

ـ سيارة إسعاف بـأقصى سرعة ، أمـام مبنـى الشرطة الفيدرالية ..

هناك مصابان .

أشار (فيليب) بيده ، قائلاً فى ألم :

ـ وماذا عن هذا الوغد ؟!

رفع (موريس) عينيه إلى (رامـون) ، ورآه مـا زال يطلق شهقات الألم والذعر ، فأضاف فى صرامة :

ـ ثلاثة مصابين .

سأله (فيليب) ، وهو ينهى الاتصال :

ـ أعتقد أن ما فعلناه يستحق هذا ؟!

أجابه (موريس) ، وهو يمسك ذراعه المصابة :

ـ لقد قمنا بواجبنا ، وبقى أن يقوم الأجنبى بدوره .

سأله (فيليب) فى ألم :

ـ وكيف سنعلم أنه نجح ؟!

صمت (موريس) لحظة ، ثم أجاب فى حزم :

ـ اطمئن يـا رجـل .. إذا مـا نجـح فـى مهمتـه ، فالدنيا كلها ستعلم هذا .

لم يفهم (فيليب) عبارة زميلـه ، ولكنهـا بـدت لـه غامضة ..

غامضة للغاية ..

* * *

لثوان ، ظلّ (هول) يحدّق فى وجه (أدهم) ، بكل دهشة الدنيا ، قبل أن يلوّح بمسدسه ، هاتفًا :

ـ مستحيل !

قال (أدهم) فى صرامة :

ـ المستحيل هو أن تفلت بفعلتك الحقيرة يا (هول) .

صوّب إليه (هول) مسدسه مرة أخرى ، قائلاً ، فى صرامة أكثر :

ـ بل المستحيل هو أن تغادر هذا المكان حيًا .

هزّ (أدهم) كتفيه بلا مبالاة ، قائلاً :

ـ ولماذا ؟! ألأننى كشفت أمرك ، وعلمت أنك المسئول عن محاولة اغتيال الزعيم الإفريقى .

سأله (هول) فى عصبية :

ـ هل تتصوّر أن أحدًا سيصدق كلمة واحدة من هذا ؟!

قال (أدهم) فى هدوء :

ـ لا تنس أنك قد استعنت بقوة خاصة ، من المخابرات المركزية ، لمطاردتى والتخلّص منى ، على نحو شرس ، وهذا دليل يدينك .

أطلق (هول) ضحكة عصبية عالية ، وقال :

ـ دليل ؟! هراء يا رجل .. هذا الدليل ربما يدين جهاز المخابرات المركزية ، ولكن لا يوجد دليل واحد لإدانتى شخصيًا .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ حقًا ؟! وماذا عن (ريكى) ؟!

هتف (هول) بدهشة مذعورة :

ـ (ريكى) ؟!

أجابه (أدهم) بنفس السخرية :

ـ نعم يا رجل .. (ريكى) .. مساعدك الهمام .. لقد أخبرنى قائد الهليكوبتر باسمه ، بعد ثلاث لكمات فحسب ،

أما (ريكى) نفسه ، فلم يحتمل سوى لكمة فى أنفه ، وثانية فى معدته ، ثم اعترف بكل شىء .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف :

ـ بكل ما يدينك .

انعقد حاجبا (هول) فى شدة ، واحتقن وجهه على نحو عجيب ، قبل أن يجذب إبرة مسدسه ، قائلاً فى غضب صارم :

ـ هذا ليس دليلاً .. صحيح أننى الشخص الذى دبَّر عملية اغتيال ذلك الزعيم الإفريقى الحقير ، الذى يزعجنا كل يوم بحديثه عن الحريات والمساواة ، وهجومه القذر على نظامنا الأمريكى .. أفضل أنظمة الحكم فى العالم .

قال (أدهم) فى سخرية :

ـ هذا يبدو واضحًا .

هتف (هول) ، وكأنما لم يسمعه :

ـ الأغبياء فى القيادة رفضوا مجرَّد مناقشة الفكرة ، وكان من المحتم أن أتحمَّل المسئولية كلها .. من أجل بقاء النظام .. من أجل (أمريكا) .

قال (أدهم) فى هدوء :

ـ إذن فأنت تعترف بأنك أرسلت ذلك القاتل (جاك) ، لاغتيال الزعيم الإفريقى .

هتف (هول) فى حدة :

ـ ذلك الغبى .. لو أنه يجيد عمله مثل (رامون) ، لما كنت أنت هنا الآن ، تتحدَّث إلىَّ بهذه الصفاقة .

ثم تراجع خطوة إلى الخلف ، مستطردًا :

ـ ولكن لا بأس بهذا كحديث أخير .

رفع (أدهم) حاجبيه ، قائلاً :

ـ حديث أخير .. هل تنوى قتلى أيضًا ؟! وبم ستبرِّر هذا أمام الجميع ؟!

قال (هولِ) فى صرامة :

ـ التبرير واضح جلى يا هذا .. لقد طلبت مقابلتى ، بصفتك الضابط الفيدرالى (موريس) ، ثم كشفت عن شخصيتك الحقيقية ، ووجهك الذى يحفظه كل رجل أمن عن ظهر قلب ، منذ أحداث الأمس ، وحاولت مهاجمتى ، وكان من الطبيعى أن أدافع عن نفسى .

ثم ضغط زرًا على مكتبه ، مستطردًا فى شماتة :

- والآن ، ومع ضغطة هذا الزر ، لم يعد مسموحًا بخروج سوى شخص واحد على قيد الحياة من هنا .. أنا .

وبكل مقت وحقد الدنيا ، رفع مسدسه نحو صدر (أدهم) ، مضيفًا :

- الوداع أيها الأجنبى المتحذلق .

قالها ، وضغط الزناد ..

وبمنتهى الحزم .

* * *

١٢ ـ الختام ..

التهم (قدرى) قطعة كبيرة من الحلوى ، فى انفعال واضح ، ولوَّح بذراعه ، على نحو يوحى باستعداده للحديث ، إلا أنه لم يفلح فى هذا ، قبل أن يزدرد ما بحلقه ، ويلحقه بكوب من الماء البارد ، ليقول :

- صدقينى .. لست أدرى كيف يمكن أن يخرج (أدهم) من موقف كهذا ، وخاصة وهو فى قلب المبنى الرئيسى للمخابرات المركزية الأمريكية فى (لانجلى) .

أشارت (منى) بسبَّابتها ، قائلة :

ولا تنس أيضًا أن (هول) قد ضغط زر الطوارئ على مكتبه ، وهذا يعنى أنه وحده يستطيع الخروج من المكان حيًا .

هتف (قدرى) :

- فهمت .

سألته مبتسمة :

- فهمت ماذا ؟!

أجابها فى حماس :

- (أدهم) سيفقد (هول) وعيه ، ثم ينتحل شخصيته ، ويغادر مبنى المخابرات بمنتهى الثقة .

ضحكت ، قائلة :

- بهذه البساطة ؟!

قال فى حيرة :

- ألا يفعلها (أدهم) هكذا دومًا ؟!

مالت نحوه ، قائلة :

- ولكن فى هذه المرة كان الأمر يختلف .. يختلف تمامًا .

ثم تراجعت مرة أخرى ، متابعة :

- فهذه كانت المرة الأولى ، التى يلتقى فيها (أدهم) بـ (هول) ، ثم إنه لم يكن يحمل أدوات التنكر ، التى زوّده بها (موريس) ، لينتحل شخصيته .

لوّح (قدرى) بيده ، قائلاً فى حيرة أكبر :

- كيف انتهى الأمر إذن ؟!

رفعت سبّابتها ، قائلة :

- بأسلوب غير مسبوق .

سألها ، بكل لهفة الدنيا :

- كيف ؟!

أشارت إلى الملف ، قائلة :

- كل شىء مذكور هنا ..

ثم عادت تروى ..

وبكل التفاصيل ..

* * *

كان الدكتور (أحمد صبرى) قد انتهى على الفور من العملية الجراحية ، التى استغرقت ما يقرب من ساعتين كاملتين ، عندما اندفع الدكتور (توفيق) إلى حجرة الأطباء ، هاتفا :

- دكتور (أحمد) .. هل تابعت ما يحدث ؟!

سأله (أحمد) ، وقلبه يختلج بين ضلوعه :

ـ وماذا يحدث ؟!

بدا الدكتور (توفيق) شديد الانفعال والحماسة ، وهو يهتف :

ـ يبدو أنك الوحيد الذى يجهل ما يحدث يا رجل .. أراهن على أن (أمريكا) كلها تتابع الموقف الآن ، من خلال برنامج (ريتا إدواردز) .. لا يمكن أن يفوتك هذا .

هتف به (أحمد) :

ـ ماذا يحدث ؟! أخبرنى بالله عليك .. أهو (أدهم) ؟!

قفز (توفيق) إلى جهاز التلفاز ، وضغط زر إشعاله ، وهو يهتف :

ـ لا .. لا يمكننى أن أخبرك .. لا بد أن تتابع بنفسك .

انتفض قلب (أحمد) فى عنف ، وهو يحدّق فى شاشة التلفاز ، ويلهث على نحو عجيب ، من فرط التوتر والانفعال ..

ثم انتبه فجأة إلى ما يحدث ..

واتسعت عيناه عن آخرهما ..

واختلج قلبه فى صدره أكثر وأكثر ..

فما يراه ، أو بمعنى أدق يسمعه ، على شاشة التلفاز ، كان مذهلاً ..

مذهلاً بحق ..

وبكل المقاييس ..

* * *

على الرغم من خفة (أدهم) ، وسرعة ردود أفعاله المدهشة ، فإنه لم يتحرك من مكانه قيد أنملة ، و(هول) يصوِّب إليه مسدسه ، و....

ويطلق النار ..

وارتطمت الرصاصة بصدر (أدهم) ..

بموضع القلب تمامًا ..وتراجع جسد (أدهم) إلى الخلف ، مع عنف الارتطام ..

ثم استعاد جسده توازنه دفعة واحدة ..

ووثب إلى الأمام ..

وبكل ذهول الدنيا ، هتف (هول) :

ـ مستحيل !

مع هتافه ، لكمه (أدهم) لكمة مباشرة في أنفه ، ثم انتزع مسدسه من يده ، وهو يقول :

ـ جريمةَ جديدة تضاف إلى جرائمك يا (هول) .. محاولة قتلى فى مكتبك ، لإخفاء أدلة إدانتك .

صاح (هول) ، وهو يقاومه فى استماتة :

ـ لن يمكنك إثبات هذا .. لن يمكنك أن تفلت من هنا ، حتى ولو ارتديت ألف درع واقية من الرصاصات .

قال (أدهم) فى سخرية ، وهو يلوى ذراعه خلف ظهره :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى اقتحم مدير المخابرات الأمريكية مكتب (هول) ، مع ثلاثة من رجال الأمن ، وهو يهتف فى غضب :

ـ ما الذى يحدث هنا ؟!

صاح (هول) ، وهو ما زال يقاوم فى شراسة :

ـ ذلك الرجل هاجمنى ، وحاول قتلى فى مكتبى ، و....

قاطعه المدير فى حدة :

ـ لست أقصد هذا ، وإنما أقصد ما سمعناه جميعًا .. أأنت المسئول بالفعل ، عن محاولة اغتيال الزعيم الإفريقى ؟!

صاح (هول) :

ـ هراء .. إنها مجرَّد ....

أفلت (أدهم) ذراعه ، قبل أن يتمّ عبارته ، وتراجع قائلاً فى سخرية :

ـ لا تحاول هذه المرة أيها الوغد .

ثم كشف صدره ، قائلاً :

ـ فما أرتديه ليس مجرَّد درع واقية من الرصاصات ، إنه محطة بث متنقلة .

حدَّق (هول) فى الأسلاك ، المنتشرة على الدرع ، الذى يرتديه (أدهم) ، وامتقع وجهه ، وهو يغمغم :

- هراء .. إنك تحاول خداعى .

قال مدير المخابرات فى غضب :

- ليس خداعًا يا (هول) .. كل ما نطقت به منذ دلف الشاب هذا إلى حجرته ، تذيعه (ريتا إدواردز) ، على الهواء مباشرة ، ، فى برنامجها الشهير .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، قائلاً :

- معذرة أيها الوغد ، ولكننى جعلتك تدلى باعتراف كامل ، على الهواء مباشرة ، وأمام كل الشعب الأمريكى ، بجرائمك القذرة الحقيرة .

اتسعت عينا (هول) عن آخرهما ، وتراجع كالمصعوق ، والمدير يقول فى صرامة :

- (أورسون هول) .. إننا نلقى القبض عليك ، للتحقيق معك فى محاولة اغتيال الزعيم الإفريقى ..

ألقى (هول) جسده على مقعده ، ولهث فى عنف ، قائلاً :

- مستحيل ! مستحيل !

قال (أدهم) فى سخرية ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره :

- لكل شىء نهاية .. أليس كذلك ؟!

اختطف (هول) من درج مكتبه بغتة مسدسًا صغيرًا ، رفعه إلى رأسه فى سرعة ، وهو يصرخ :

- مستحيل !

ولكن (أدهم) وثب نحوه بخفة مذهلة كالفهد ، ولوى معصمه بحركة عنيفة ، فانطلقت رصاصة المسدس فى الهواء ، و(أدهم) يقول :

- كلاً أيها الوغد .. لا تمت بهذه البساطة .. ينبغى أن تحيا ، لتدفع ثمن حقارتك .

اندفع رجال الأمن الثلاثة نحوه ، وأمسكوا بـ (هول) وأحدهم يقول فى حزم :

- اترك لنا هذه المهمة .

راحوا يحيطون معصمى (هول) المنهار بالأغلال ، فى حين عقد مدير المخابرات الأمريكية كفيه خلف ظهره ، وتطلع إلى (أدهم) ، قائلاً :

- أما أنت يا فتى ، فبعد أن تنزع تلك الأسلاك ، أريد أن أتحدَّث إليك بعض الوقت .

التقط (أدهم) نفسًا عميقًا ، وهو يقول فى ارتياح :

- أنا رهن إشارتك يا سيّدى ..

فبالنسبة إليه ، وعلى الرغم من أنه لم يغادر مبنى المخابرات المركزية بعد ، كان واثقًا من أن الحصار الذى ضُرِبَ من حوله ، طوال الساعات الماضية ، قد انتهى ..

انتهى تمامًا ..

* * *

أطلق (موريس) ضحكة عالية ، وهو يربّت على كتف (فيليب) فى رفق ، قائلاً :

- يا لها من نهاية سريعة ! من يصدّق أن كل هذا لم يستغرق أربعًا وعشرين ساعة بعد .

ابتسم (فيليب) ، قائلاً ، وهو يرقد على فراشه بالمستشفى :

- المهم أن الأمر قد انتهى على خير .

هز (موريس) كتفيه ، وقال :

- ليس بالنسبة للكل ، فرجل المخابرات (هول) سيحاكم بتهمة محاولة الاغتيال ، والقتل ، وتجاوز حدود وسلطات وظيفته ، وهى تهم تكفى لسجنه مدى الحياة ، ومساعده (ريكى) ينتظر حكمًا بالسجن لعشر سنوات على الأقل ، أما ذلك القاتل المحترف (رامون) ، فقد نجا من السجن ، بشلل رباعى ، سيلازمه مدى الحياة .

تنهَّد (فيليب) ، قائلاً :

- أراهن على أنه كان يتمنى السجن ألف مرة .

غمغم (موريس) :

- بالتأكيد .

مطَّ (فيليب) شفتيه ، وهزَّ رأسه فى شىء من الإشفاق ، قبل أن يسأل زميله (موريس) فى اهتمام :

- وماذا عن بطلنا ؟!

ابتسم (موريس) ، قائلاً :

- سيدلى بأقواله غدًا .

سأله (فيليب) فى دهشة :

ـ ولماذا ليس اليوم ؟!

اتسعت ابتسامة (موريس) ، وهو يقول :

ـ لأن الليلة هى السبب الأصلى لقدومه إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

قال (فيليب) :

كنت أتمنى أن أصافحه أوَّلاً .

ضحك (موريس) ، قائلاً :

ـ ليس هناك وقت لهذا يا رجل .. إنه يتأنَّق قليلاً ، قبل أن تحمله الطائرة إلى (واشنطن) ، لحضور حفل تخرُّج شقيقه ، وحصوله على شهادة زمالة جراحى المخ والأعصاب الأمريكية .

ثم استعادت ملامحه جديتها ، وشرد بصره ، وهو يقول :

ـ ولكن من المؤكَّد أننا سنصافحه جميعًا عند عودته ، وقبل رحيله إلى وطنه ، فما فعله لا يمكن نسيانه .. أبدًا .

وكان على حق فى قوله هذا ..

فبعد كل ما فعله ، طوال ليلة كاملة ، كان من الطبيعى أن يصنع من (أدهم صبرى) بصمة خاصة فى تاريخ نظم الأمن الأمريكية ..

بصمة خاصة .. جدًّا ..

* * *

تنهَّد (قدرى) فى حرارة ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة استمتاع ، وهو يقول :

ـ رائع .. (أدهم) هذا رائع دومًا .

وافقته (منى) بإيماءة من رأسها ، قائلة :

ـ لقد أنهى العملية على نحو رائع ، ثم حضر حفل حصول شقيقه على شهادة الزمالة ، فى موعده بالضبط ، ولا شك فى أنها كانت أسعد لحظة فى حياة الدكتور (أحمد صبرى) ، عندما رأى (أدهم) فى مقاعد الحفل الأولى ..

هتف (قدرى) :

ـ بالتأكيد .

أغلقت (منى) الملف ونهضت وهى تحمله ، قائلة :

- أظن أن هذه المغامرة قد أخرجتك من حزنك العميق .

تطلَّع إليها (قدرى) بامتنان ، وقال :

- لست أدرى كيف أشكرك يا (منى) .. كلنا نعلم أنك أكثر حزنًا ، لما أصاب (أدهم) ، وعلى الرغم من هذا فقد فعلت ما فعلت ، لمعاونتى على الخروج من حزنى العميق .

قاومت رغبتها فى البكاء ، وهى تقول :

- لو أن (أدهم) فى مكانى لفعل المثل .. إننى أفعل هذا من أجلك .. ومن أجله .

قال بامتنان أكثر :

- بالتأكيد .

ارتجفت شفتاها ، وهى تقاوم دموعها ، فقال فى سرعة ، لانتزاعها من انفعالها المكتوم :

- ألا تلاحظين أن كل مغامرات (أدهم) لاهثة ، بحيث لا يمكنك خلال قراءتها التقاط أنفاسك إلا بصعوبة .

حاولت أن تبتسم ، وهى تقول :

- على العكس .. هناك مغامرة تختلف تمام الاختلاف عن كل ما قرأته له من قبل .. مغامرة اعتمد فيها (أدهم) على ذكائه وحنكته ، وليس على قدراته البدنية المدهشة(*) .

هتف فى لهفة :

- حقًّا ؟!

أشارت إليه ، قائلة :

- ولكنها مهمة رسمية ، لذا فقد ادخرتها ، حتى تعود إلى عملك ، ويمكننا قراءتها فى الجهاز .

هتف فى حماسة :

- سأعود غدًا صباحًا .

ابتسمت ، قائلة :

- هذا ما توقَّعته .

ثم لوَّحت بيدها ، قائلة ، وهى تتجه نحو الباب :

(*) اقرأ مغامرة (تحت علم مصر) ... سلسلة الأعداد الخاصة رقم ١٤ ..

ـ سأنتظرك غدًا .

هتف خلفها :

ـ ستجدينني من السابعة صباحًا .

قالت مبتسمة :

ـ أنا واثقة من هذا .

شيَّعها حتى باب شقته ، وراقبها وهى تتصرف ، ثم أغلق الباب خلفها ، واستند إليه بضع لحظات ، وهو يستعيد ذكريات شتى ..

وبدون اتفاق سابق ، ودون أن يعلم أحدهما ما يفعله الآخر ، تنهَّد (قدرى) و(منى) ، فى نفس اللحظة ، وغمغم كلاهما ، بكل حرارة وحزن الدنيا :

ـ آه يا (أدهم) .

وكان هذا يعنى أن أعماقهما ما زالت تموج بالكثير .. جدًا .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٢٠٠٠/١٩٥١٨

روايات مصرية للجيب

الحصار

سلسلة الأعداد الخاصة



د. نبيل فاروق

الحصار

- كانت زيارة عادية للولايات المتحدة الأمريكية ..
- ثم حدثت محاولة الإغتيال ..
- وانطلق (أدهم) كالأسد يتصدّى للقتلة والمغتالين ، ويقاتل بأقوى مما فعل في حرب أكتوبر ..
- وعندما أوقع بالقاتل ، واجهته مفاجأة قاسية ..
- مفاجأة قلبت الدنيا كلها على رأسه ، وأطلقت خلفه كل القوى الأمريكية ، التي سعت لحصاره والإيقاع به ، بلا رحمة أو هوادة ..
- وكان على (أدهم) أن يواجه أشرس حصار في حياته كلها ..
- وأن يقاتل بلا هوادة ..
- ودون أمل في النصر ..
- أدنى أمل ..

الثمن في مصر ٣٠٠ مـ
ومايعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة